روايات رومانسية عالمية

عبير

الحدّ الفاصِل

للظروف احكامها كما يقول المثل ..وجانيت لم ترض الاستسلام للحكم الصادر بحق والدتها بانتزاع ممر المنزل الصغير الذي تملكه في اسبانيا . بل هبت للدفاع عن حقوقها ضد المحامي بروس والبروك الضليع في القانون ...رفضت التسليم بالأمر الواقع ورفضت الخضوع لسحره عليها ... خسرت قضية الممر وقضية قلبها خانها في حقها وعواطفها ...وكذب عليها ...وضعت حداً فاصلاً للأمور وهربت ولكن الى اين؟

JOHN LEE

مكتبة زهران
جمهورية مصر العربية
١٥ شارع الشيخ محمد عبده - خلف الجامع الأزهر
ت : ٥١٤٢٩٥٥ - موبايل : ٠١٢٣٧٨٦٤١٨

روميليا لين

الحدّ الفاصِل

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية

STORMY ENCOUNTER

JOHN LEE

مكتبة زهران

جمهورية مصر العربية

١٥ شارع الشيخ محمد عبده - خلف الجامع الأزهر

ت : ٥١٤٢٩٥٥ - موبايل : ٠١٢٣٢٧٨٦٤١٨

١ ـ رحلة مفاجئة

واخيراً رحلت آخر رياح آذار (مارس) وعادت الخضرة لتلوّن أشجار الصفصاف في الساحة الواسعة ذلك الفجر من شهر نيسان (ابريل).

مزّقت سيارة توزيع الحليب الصمت الصباحي، وازداد ضجيجها عند المنعطف وكأنها تريد أن توقظ الذين لم تنفع معهم محاولتها الاولى.

أرخت جانيت الستائر على المشهد الخارجي وهي تفكر في ما ترتديه هذا الصباح. ثم أسرعت في انجاز أمورها استعداداً للعمل.

وفي غرفة الاستحمام المزدحمة بالمناشف وشراشف السرير والملابس التي تنتظر الغسيل، انهت جانيت اغتسالها، ثم ارتدت

JOHN LEE

بلوزة خضراء اللون تحت فستان زيتي، واخيراً انتعلت حذاء عادياً لامعاً.

القت نظرة أخيرة الى المرآه لوضع بعض الماكياج، ثم أرخت شعرها البني الفاتح على جانبي وجهها مما أبرز جمال عينيها العسليتين وابتسامتها الساحرة ... لاشك أنها جذابة جدا، لكن لا وقت لديها الآن للتفكير في ذلك.

عليها أن تكسب عيشها وتؤمن نصف اجرة الشقة التي تسكنها اسبوعياً... المهم أن تذهب الى العمل لكسب ما يكفي لسداد حاجاتها المعيشية.

ومع أن وظيفتها في وكالة السكرتيرات تدر عليها مبلغاً معقولاً، وبالرغم من أنها وضعت ميزانية دقيقة لمصاريفها... الاّ أنها لم تستطع أن توفر الكثير وبالتالي لا تستطيع أن تهمل عملها ولو مؤقتاً.

دست فرشاة الشعر في حقيبة يدها بعد أن وضعت اللمسات الاخيرة على تسريحتها ثم توجهت الى المطبخ. وفي طريقها اصطدمت بفتاة شبه نائمة تتعثر في خطواتها نحو الحمام. وسمعت من بين ركام المناشف وأدوات التجميل والملابس الكثيرة صوتاً يقول:

- اسفة أيتها العزيزة، فأنا لم أسمع جرس المنبه.

ابتسمت جانيت لشريكتها في الشقة وقالت:

- لا بأس سأغلي الماء تمهيداً لشرب القهوة.

كانت نونا ذات الشعر الاسود والعينين الزرقاوين في الثانية والعشرين من العمر، تماماً مثل جانيت. وقد عرفت الاثنتان بعضهما البعض منذ الطفولة، وعندما تركتا المدرسة جاءتا الى لندن معاً. في البدء سكنتا مع ثلاث صديقات اخريات في شقة كبيرة في منطقة كلابهام الشعبية، ولكن عندما قصرت الثلاث الاخريات عن دفع حصصهن من أجرة الشقة، قررتا الانتقال والسكن على انفراد.

انتقلت جانيت ونونا الى هذه الشقة في فولهام وهي منطقة شعبية ايضاً، وسرعان ما وجدتا أنهما على خير ما يرام اذ أن كلاً منهما تقوم بنصيبها من العمل والترتيب المنزلي.

لم تكن الشقة فاخرة، بل هي أقل من عادية. وميزتها الوحيدة أن لها بابها الخاص وقريبة جداً من المواصلات العامة. وهي تتألف من صالة واسعة تطل على الخارج بواسطة سلم حجري صغير، ومن غرفتين تستعملان كغرفتي نوم بالاضافة طبعاً الى الحمام في احدى الزوايا، والمطبخ وغرفة الطعام الصغيرة في زاوية اخرى.

وانبعث من الحمام صوت نونا يصدح بأغنية ناعمة كدليل على أن صاحبته قد استيقظت تماماً. فأخذت جانيت تتساءل بارتياح وطيبة عن اسباب فرح صديقتها هذه الايام، دون أن تتوقف عن تجهيز فناجين القهوة. اذ لم تفتها النظرات الحالمة في عيني نونا منذ أسابيع قليلة، وهي تعرف ايضاً ان صديقتها تخرج مع مدير شاب في المخزن الذي تعمل فيه.

ومع أن جانيت كانت تحسد نونا على حياتها هذه، الاّ أنها لم تكن منزعجة، لأن حياتها هي خالية من أية ارتباطات عاطفية. لقد خرجت مع اصدقاء كثيرين، وذهبت الى العديد من الحفلات ولكنها لم تلتق بعد بالرجل الذى يهز مشاعرها من الاعماق... وعلى كل حال، فهي ليست مستعجلة ابداً.

صحيح أنها تعمل بجد وتعب من أجل العيش في لندن، لكنها ليست مجبرة بل اختارت الامر عن قناعة تامة. اختاها المتزوجتان تعيشان على الشاطىء الانكليزي الجميل في سافون، وأخوها الثالث المتزوج ايضاً يعيش في كامبريدج... ولأن أمها الارملة تعيش في الخارج، فان أياً من اخوتها كان سيرحب بها لو أنها ارادت العيش معهم. ولكنها تحب الاستقلال وتريد أن تهتم بنفسها وحدها... وفي جميع الاحوال، لندن مليئة بفرص العمل.

هيأت فناجين القهوة ووعاء السكر. وبانتظار غلي الماء، عبرت

القاعة باتجاه الباب الخارجي لاحضار البريد اليومي.

كانت هناك الفواتير المعتادة. فاتورة الهاتف كل ثلاثة أشهر، ومذكرة تشير الى أن موعد دفع فاتورة الغاز قد حان، وايضاً فاتورة موزع الحليب.

ووسط هذه الرسائل المزعجة، أحست جانيت بفرح طاغ، عندما لمحت رسالة تحمل طابعاً اسبانياً والعنوان مكتوب بخط يد والدتها. وكانت هناك ايضاً رسالة الى نونا من أخيها الذي يعمل في سلاح الطيران في كندا.

حملت جانيت الرسائل بيدها اليسرى، طبعاً رسالة أمها فوق الكل، وفتحت الباب لاحضار قنينة الحليب. لم تر جانيت البيوت السوداء المتراصة على طول الشارع، كما لم تحس بلسعة البرد التي لفحت خديها. . . فعقلها كان سارحاً مع خيالات تركزت حول سماء زرقاء صافية وبيت ابيض ريفي في مدينة ايبيزا الغافية تحت الشمس الاسبانية.

فأمها التي تحب الشمس، والتي لم يتبق لها شيء في انكلترا، قررت أن تجعل من الجزيرة مسكنها الدائم. وقد شجعها كل افراد العائلة على قرارها، وعندما وجدت الام البيت الذي يناسب الارث الذي تركه زوجها قبل وفاته، ذهبت نونا وجانيت الصيف الماضي وساعدتاها على ترتيبه والاستقرار فيه.

وباستثناء فيللا مجاورة مغلقة معظم الوقت، فان البيت الذي اشترته الام كان وحيداً في الريف الشاسع. واستطاعت الام أن تتدبر شؤونها معتمدة على مدخول صغير مناسب، وكانت سعيدة للغاية في وطنها الجديد. وجانيت سعيدة ايضاً لانها تستطيع أن تتصل هاتفياً بأمها وتطمئن على أحوالها. وظلّت ذكرى ذلك الصيف حية في ذهن جانيت. بحيث ظلت تشعر بالرغبة الدائمة لسماع اخبار الجزيرة في رسائل امها.

عادت الى المطبخ لتجد الماء يغلي. صبت لنفسها فنجاناً من القهوة

وتناولت أربع شرائح من الخبز. لحظات ودخلت نونا المطبخ لتصب فنجاناً من الشاي وتقطع بعض شرائح الخبز. وعندما استقرت في كرسيها، تناولت رسالة أخيها وبدأت في قراءتها وهي تمضغ طعامها. ابتسمت لها جانيت بحنان ومحبة. فالرجل الشاب، الذي تحتل صورته مكاناً بارزاً في الصالة، هو كل عائلة نونا. وهي تعرف أن علاقتهما عميقة للغاية.

اما هي فلم تفض رسالة والدتها على طاولة الطعام. فقد فضلت أن تقرأها في وقت لاحق وتتمتع بمحتوياتها. وعندما انتهت من فطورها اكتشفت ان امامها عشر دقائق كاملة قبل التوجه الى العمل، ولذلك قررت أن تتصفح الرسالة بسرعة.

كانت نونا قد انهت قراءة رسالة اخيها بنهم، واخذت تطويها مجدداً وهي تقول بفرح:

- أخبار حسنة. بيتر يقول انه ربما يعود الى انكلترا في ايار (مايو).

- ممتاز.

قالت جانيت هذه الكلمة بدون وعي، وعيناها مسمرتان على الكلمات التي خطتها امها في الرسالة.

اتسعت ابتسامتها عندما بدأت القراءة، ثم استقرت بعد أن غابت وسط الكلمات، لكن هذه الابتسامة اختفت عندما قلبت جانيت الصفحة الثانية، وفي النهاية، كانت شفتاها مزمومتين بغضب واضح. انفجرت الكلمات من شفتيها وغرقت عيناها العسليتان في ثورة عارمة:

- يا لهم من اناس.

- ماذا حدث؟

سألتها نونا وهي تحتسي بعض الشاي. قالت جانيت بهدوء حذر:

- لقد بيعت الفيللا المجاورة لمنزل والدتي. والناس الذين اشتروها هم من النوع الاجتماعي الغني، ويبدو انهم يقيمون الحفلات لمعظم

سكان الجزيرة.

ردت نونا باشفاق:

- مسكينة السيدة كيندال. لا شك أن الضجيج بات كثيراً هناك.

القت جانيت ابتسامة حزينة على الرسالة وقالت:

- المشكلة ليست هنا. فامي تحب بعض المغامرات.

ربتت على المغلف بحنان وتابعت تقول:

- ان اسوأ ما في الرسالة يتعلق بخط سكة الحديد المهجور الذي يمر امام المنزل.

اتسعت عينا نونا الزرقاوان وهي تتساءل بدهشة:

- الخط العتيق؟ اتقصدين الجزء الذي يمر أمام البيت تماماً؟

هزت جانيت رأسها موافقة واجابت:

- امام البيت وامام الفيللا ايضاً. ويظهر أن هذا الخط قد شهد كثافة سير اخيراً بحيث طالب اصحاب الفيللا بجعله ملكا لهم.

انتصبت نونا واقفة وهي تقول:

- ماذا؟ انهم لا يستطيعون ذلك؟ اقصد ان المدخل الوحيد لبيت امك يمر من هناك.

- هذا صحيح. والحقيقة ان اصحاب البيت القدامى قالوا لامي عند ابرام عقد البيع، ان ذلك الجزء سيكون لها مقابل بضع مئات من الليرات بمجرد الانتهاء من الاجراءات القانونية.

ردت نونا بلهجة حادة:

- ألم يكن هذا منذ زمن بعيد؟

- منذ سنتين. ولكن الامور تسير ببطء روتيني في تلك البلاد. ابتلعت جانيت ريقها وتابعت تقول:

- باستثناء عربة زراعية يجرها حصان كانت تستعمل الطريق بين فترة واخرى، فان احداً لم يمر من هناك. وعلى هذا الأساس كانت امي تعتبر ان الممر ملكاً لها عملياً.

سألت نونا وعلى وجهها علامات الاهتمام والقلق:

- هل تعتقدين بأن اصحاب الفيللا الجدد يمكن أن يتقدموا لشراء الممر متجاوزين حق والدتك؟

ردت جانيت وهي تتنهد:

- اذا كان المال سيقرر المسألة، فهم يستطيعون بالتأكيد. وبما أن لمنزلهم مدخلاً على الممر، فان شيئاً لا يمكن أن يقف في طريقهم.

قالت نونا معترضة:

- لكن لو أن امك كانت هناك اولاً، لطالبت بالممر كله، اليس كذلك؟

- اعتقد ذلك؟

أجابت جانيت بتعب والمرارة تلتمع في عينيها. وفجأة اصطدم نظرها بالساعة فانتفضت وهي تقول:

- يا الهي. انظري الى الساعة سوف اتأخر عن الباص.

تناولت معطفها وحقيبة يدها، ودست رسالة امها في جيبها وهي تركض باتجاه الباب وسط صرخات نونا الفرحة التي مازال عندها متسع من الوقت قبل الذهاب الى العمل:

- اركضي ايتها الفتاة. اركضي وسوف تلحقين الباص.

عندما وصلت جانيت الى الباص المزدحم كانت انفاسها متقطعة.

وهكذا بدأ يوم عمل جديد في حياتها. وطوال النهار كانت محتويات رسالة امها تلح عليها.

عند الظهر تناولت غداءها في مطعم منزو بالرغم من عدم شهيتها للأكل. الشيء الذي ضايقها كثيرا هو الظلم الذي لحق بوالدتها. ظلت تقلب المسألة وسط المطر الغزير والازدحام البشري المعتاد.

اعتادت أن تصل الى الشقة قبل نونا.

وما ان سمعت وقع خطوات صديقتها على الدرج، حتى كانت صينية القهوة جاهزة والى جانبها طبق البسكويت في الصالة الدافئة المريحة.

دخلت نونا لاهثة حاملة معها المطر والريح.

- اوه. انها تمطر بغزارة، وقد نسيت أن آخذ معطفي الواقي من المطر

عند الصباح .

ردت جانيت من مقعدها:

- انزعي عنك الملابس المبتلة وتعالي نتناول بعض القهوة. لقد وضعت البطاطا على النار حتى تنضج .

- حسناً جداً. وأنا احضرت معي اللحم وعلبة البازيللاء.

تابعت نونا طريقها الى غرفتها حيث تخلصت من الملابس المبللة وارتدت كنزة صوفية دافئة.

ابتسمت جانيت لصديقتها، لكنّ عينيها كانتا مليئتين بالحزن والتعب.

احست نونا بالمشاعر التي تتضارب في رأس جانيت، لكنها انتظرت حتى استقرتا قرب المدفأة وصبتا فنجانين من القهوة، ثم قالت:

- هيا، اخبريني بكل ما في نفسك. انا متأكدة أن اشياء كثيرة تعتمل في فكرك .

وضعت جانيت الفنجان من يدها وقالت:

- هل الامر واضح الى هذا الحد ؟

اخذت نفساً عميقا وكأنها تفكر من أين تبدأ ثم قالت وهي تنظر مباشرة الى عيني صديقتها:

- انا ذاهبة الى ابيزا .

لم تبد على وجه نونا أي تعابير، بل هزت رأسها بهدوء وقالت:

- وذلك بسبب الرسالة التي وصلتك هذا الصباح؟

استرجعت جانيت محتويات الرسالة وهي تقول:

- لا يمكن ان أترك اولئك الناس يحرمون امي من حقوقها .

ردت نونا :

- طبعا لا يمكنك ذلك. لو كنت مكانك لفعلت الشيء نفسه .

نظرت جانيت الى صديقتها، ثم اطلقت تنهيدة ارتياح عميقة :

- كنت أعرف انك ستقدرين الوضع يا نونا. انني مرتاحة لانك

وافقت على فكرتي .

ثم سحبت من الطاولة ورقة عليها بعض الارقام وقالت:

- لقد سجلت كل ما يجب معرفته عن حصتي من الفواتير وغيرها. . . لكن المشكلة أنني لن اعود قبل ان اتأكد من أن امي ستحصل على كافة حقوقها، وهذا يخلق مشكلة الاستمرار في دفع ايجار الشقة!

ردت نونا بسرعة :

- غيابك لن يؤثر. فأنجيلا ستكون هنا في نهاية الاسبوع المقبل .

انتعشت جانيت وقالت:

- هل اقترب موعد حضورها الى هذا الحد؟

انجيلا، صديقتها المشتركة، آتية الى لندن لقضاء الصيف في بعض الاعمال المتعلقة بعملها. وقد حاولت كثيراً ايجاد مكان للسكن يكون قريباً من عملها بدون جدوى، لذلك وافقت جانيت ونونا في النهاية أن تسكن معهما.

قالت نونا بمرح :

- لست ادري كيف كنا سنستقبل انجيلا ونحن لا نملك سريراً ثالثاً؟ في كل حال، ستستعمل الآن غرفة نومك. . . بالاضافة الى انها كانت تصّر على المشاركة في دفع الاجرة .

- هذا صحيح .

هزت جانيت رأسها موافقة، وقد اخذت ترتاح قليلا بعد أن اخذت المشاكل المحلية تزول الواحدة بعد الاخرى. ثم تابعت مراجعتها للارقام المسجلة على الورقة. قالت نونا وهي تراقبها في عملها:

- هناك شيء واحد فقط. كيف ستتدبرين أمرك مع المال؟ ان ثمن التذكرة الى ابيزا مكلف اليس كذلك؟

رفعت جانيت نظرها الى نونا وعلى وجهها تعبير الاعتذار والاسف:

- هذا هو اسوأ ما في الخطة كلها. الحقيقة اني سأستعمل كل مدخراتي

لفصل الصيف. وما لم تحدث معجزة بعد عودتي، فسأكون عاجزة عن تدبير المال لرحلتنا المشتركة الى اليونان.

ربتت نونا على كتفها بحنان وقالت مؤكدة:

- لا تهتمي لذلك الامر. انا اعرف الكثيرات من الصديقات في العمل وهنّ على استعداد للحلول مكانك... وفي اي حال...

وفجأة جاءت النظرة الحالمة الى عينيها وهي تقول:

- لست متأكدة اذا كنت سأذهب شخصياً ايضاً.

حلّ صمت ثقيل، بينما كانت كل منهما تتابع خيط افكارها. ثم سألت نونا فجأة:

- هل اخبرت امك انك ذاهبة؟
- كلا

نهضت جانيت وبدأت تجمع فناجين القهوة على الصينية:

- سأتصل بها بعد الساعة السابعة، فالمخابرات آنذاك تكون ارخص.

بعد أن انتهت من غسل الاطباق وترتيب المائدة والمطبخ، توجهت جانيت الى الصالة للاتصال بوالدتها. طلبت الرقم الذي حفظته عن ظهر قلب، وقبل أن تستطيع قراءة درجة الحرارة في البارومتر المعلّق قبالتها، انفتح الخط وجاءها صوت والدتها المعهود. قالت جانيت دون ان تضيع ثانية واحدة:

- ماما، انا جانيت. اريد الحديث في موضوع سريع يهمك.

امتلأ صوت السيدة كيندال بالفرح والسرور:

- انها مفاجأة حلوة. هل استلمت رسالتي؟
- اجل. واعتقد ان اصحاب الفيللا يرتكبون خطأ بالغاً في محاولتهم انتزاع العمر منك.

ودون ان تتيح لامها فرصة الرد تابعت تقول:

- لهذا السبب اتصلت بك. انا ذاهبة اليك قريباً.

تلعثمت السيدة كيندال وهي تقول:

- لكن يا عزيزتي. هل من الضروري ذلك. اعني... ماذا يمكن ان نفعل؟.
- سوف نتحدث عن ذلك عندما اصل ابيزا.

ردت عليها جانيت بهذه العبارة اولا لتوفير الوقت والمال على الهاتف، وثانياً لانها بالفعل لم تكن تدري ماذا ستفعل هناك. الشيء الوحيد الذي تعرفه ان كل افراد العائلة لهم ارتباطات في انكلترا، وحيث ان امها ليس لها احد للاعتماد عليه، فمن واجبها هي الابنة المستقلة ان تذهب الى هناك وتقف في مواجهة الذين يريدون استغلال ارملة وحيدة لا عائل لها. قالت لأمها بنعومة:

- لا تهتمي بسفري. سآخذ سيارة تاكسي عندما اصل الى المطار. هناك مقعد جاهز على طائرة الغد، وسأكون في ابيزا بعد الظهر أو قبيل المساء.
- كما تريدين يا حبيبتي.

ردت السيدة كيندال باذعان، استطاعت بين كلمات الوداع السريعة ان تقول لابنتها:

- ان رؤيتك ستبعث في نفسي السعادة.

استقلت جانيت سيارة المطار بعد ظهر اليوم التالي وشعور الارتياح يملأ نفسها. فلقد حزمت حقيبتها مساء امس، ثم امضت صباح اليوم في المكتب للحصول على اذن اجازة، وبعد ذلك ذهبت الى المصرف لسحب بعض المال من اجل تسوية اوضاعها مع نونا. وقد فعلت ذلك ووضعت المبلغ المطلوب في مغلف تحت المنبه في المطبخ. وعندما انتهت من هذه الترتيبات توجهت الى وسط المدينة بالقطار لشراء تذكرة السفر من احدى الوكالات السياحية. وبما ان موسم السياحة لم يكن قد بدأ بعد، فقد كانت هناك رحلتان في الاسبوع فقط الى ابيزا... ولحسن حظها صادفت احدى الرحلتين هذا اليوم في الثالثة بعد الظهر.

امتلأت السيارة بسرعة، فأخذت جانيت مكانها بين اناس يبدو

عليهم الثراء ذاهبين بحثاً عن اشعة الشمس في اسبانيا. احست بنوع من المتعة كونها ذاهبة لرؤية والدتها، ولكن كانت الامور ستختلف لو انها ذاهبة في ظروف غير سيئة كما هي الحال الآن.

وعندما وصلت السيارة الى المطار حيث زئير محركات الطائرات يصم الاذان ويملأ الجو هواء ساخناً قوياً، جاهدت جانيت بحقيبتها للوصول الى مكتب شركة الطيران. . . لكن فكرها كان في الجزيرة والاحداث المتوقعة فيها.

انها تعرف تماماً نوعية الناس الاغنياء مثل اصحاب الفيللا. فلمجرد كونهم من الاثرياء، فهم يعتقدون ان باستطاعتهم تحقيق كل ما يريدون حتى على حساب الآخرين. حسناً، سوف يكتشف هؤلاء ان الامر يختلف تماماً معها هي، فليس لأحد ان يتجاوز حقوق والدتها وحقوقها ايضاً.

وفي الصف الطويل من البشر المنتظرين أمام مكتب شركة الطيران، تحولت عيناها في ارجاء القاعة لتحطا على مجموعة من الحقائب الفاخرة هي ملك لرجل يقف خارج طابور الانتظار. رمقت جانيت الرجل بنظرة حادة وثابتة مقررة ان لا تزيحها الا عندما تريد هي. ورد الرجل بنظرة باردة الى ان جاء احد موظفي المطار ومعه حمالان. راقبت جانيت بسخرية واضحة الحمالين وهما يأخذان الحقائب في حين رافق الموظف الرجل بأدب وخشوع.

جاء دورها لوضع الحقيبتين على الميزان. وكم كانت راحتها كبيرة عندما رأت ان ما حزمته جاء ضمن الوزن المسموح به مجاناً. تركت الموظف المسؤول ليلصق البطاقات على الحقيبتين وتوجهت الى قاعة الانتظار استعداداً للسفر.

قلة من الناس توجهوا الى قاعة المغادرة عندما اعلن المذيع عن الرحلة وموعد اقلاعها. ولانها كانت مستغرقة في قراءة احدى المجلات، فقد وجدت نفسها في آخر الطابور السائر الى السيارة التي ستقلهم الى الطائرة. وهكذا انحشرت حشراً في المؤخرة، واحست

بالابواب تغلق على بعد سنتمترات قليلة من وجهها.

هذا الموقف غير المريح تحول الى موقف مناسب تماماً عندما توقفت السيارة تحت جناح الطائرة التي كانت محركاتها تزأر بصوت يصم الاذان. فالذي ركب السيارة في الآخر كان الاول للنزول منها. ولم تضع جانيت وقتها، بل ردت على ابتسامة المضيفة الواقفة على سلم الطائرة بابتسامة مماثلة، واسرعت تهرب من الرياح العاصفة في الخارج.

التقت في داخل الطائرة المزيد من المضيفين والمضيفات. هذه هي المرة الثانية التي تطير فيها، وبما ان الطائرة كلها وملكها الآن، فلماذا لا تختار مقعداً في الصفوف الامامية، لاحظت ان هناك ستارة بنية اللون تفصل القسم الامامي من بقية جسم الطائرة، كما لاحظت ان المقاعد في ذلك القسم اكثر فخامة وراحة من باقي المقاعد. هذا افضل بكثير. . . ثم اختارت مقعداً منها ورمت نفسها فيه بارتياح.

المضيفة التي تعمل في هذا القسم كانت على سلم الطائرة لاستقبال المسافرين، وقد اعطت اهتمامها لامرأة مقعدة انزلتها سيارة سوداء فخمة واتجهت الى مقعدها المتحرك الى السلم. ومن خلال النافذة المطلة على المدرج راقبت جانيت المضيفة وهي تقدم يد المساعدة لتلك المرأة. وشاهدت جانيت سيارة سوداء فخمة اخرى تتهادى ببطء لتقف عند سلم الطائرة، ثم ترجل منها احد الاشخاص ليفتح الباب الخلفي. . . لمن؟ من غير الرجل الانيق صاحب الحقائب الباهظة الثمن والذي رأته في قاعة المطار قبل قليل. القت نظرة متفحصة الى بدلته الانيقة ذات الحياكة الخاصة قبل ان تعاود قراءة المجلة. كان المقال يتحدث عن امرأة ذهبت الى ادغال البرازيل لدراسة عادات نوع من السمك القاتل الذي يعيش هناك. وكانت المرأة الباحثة تروي ما حدث بعد ان اصطدم قاربها المطاطي بصخرة في احد الانهار. . . عندما سمعت جانيت صوتاً عميقاً آليا يخاطبها قائلاً:

- اعتقد انك تجلسين في مقعدي!.

رفعت رأسها لتفاجأ بالرجل الذي ترجل من السيارة السوداء قبل لحظات وهو يقف الى جانبها.

مقعده! نظرت اليه بحدّة. فحسب علمها، كل الركاب الذين أتوا بعدها قانعون بالمقاعد التي حصلوا عليها.

اجابته ببرودة واضحة:

- هناك العديد من المقاعد الاخرى. ولست ارى سبباً يدعوني الى ترك هذا المقعد وقد كنت الاولى التي صعدت الى الطائرة!

كانت عينا الرجل زرقاوين وباردتين. انتصب الى جانبها ثم استدار ليأخذ مقعداً بالقرب من جناح الطائرة. وبدون ان ينظر اليها مجدداً، وضع قدماً فوق الاخرى ثم فتح حقيبة يده الجلدية وأخذ يبعثر بعض الاوراق.

عادت جانيت مسرورة الى مجلتها. لا شك ان جوابها وضعه في مكانه الطبيعي. انها تريد الاستغراق مجدداً في مغامرات الادغال البرازيلية، لكن مشاعرها المتضاربة كانت تخفق في صدرها مثل عشرات الفراشات الأسيرة. ولذلك وجدت نفسها تحملق في الكلمات بدون ان تراها.

جذب انتباهها الباب الامامي حيث كانت المرأة المقعدة تسير بمساعدة المضيفة، وكان مع المرأة رجل عجوز اشيب الشعر. بعدهما دخل رجل وامرأة يبدو عليهما الثراء الشديد. ثم اسرعت المضيفة التي كانت تهتم بالمرأة المقعدة الى داخل الطائرة مجدداً.

وعل الفور حدقت المضيفة بجانيت، ثم نقلت نظرها الى الرجل الانيق في المقعد المجاور. سارت ببطء نحو جانيت ثم طلبت منها بابتسامة هامسة ان تريها بطاقة السفر الخاصة بها.

ابتسمت المضيفة مجدداً بعد ان رأت البطاقة وقالت:

- طبعاً يا آنسة كيندال. هناك مقعد محجوز لك في الخلف.

رفعت المضيفة الستارة البنية واشارت الى الخلف، فادركت عل

الفور ان القسم الامامي ليس لها. اسرعت بلملمة حوائجها وتراجعت الى الوراء وقد علت الحمرة خديها.

عادت المضيفة نحو الرجل الانيق تعتذر، وتطلب منه الانتقال الى مقعده في الدرجة الاولى:

- انا متأسفة جداً يا سيدي. لست ادري كيف حدث ذلك. لقد كنت مشغولة جداً بركاب الدرجة الاولى الآخرين...

- لا بأس، انتهى الامر عل كل حال.

نهض الرجل من مقعده وسار باتجاه المقعد الذي كانت تحتله جانيت، دون ان يرفع عينيه الزرقاوين الجامدتين عن الاوراق التي بين يديه. في حين كانت جانيت ترخي الستارة خلفها وقد شعرت بالخجل حتى تمنت ان تنشق الارض وتبتلعها.

كانت الطائرة قد امتلأت ما عدا بعض المقاعد المتباعدة.

- هذا مقعدك، ما زال بامكانك الجلوس قرب النافذة.

ساعدتها المضيفة التي لحقت بها بعد الاهتمام بالرجل عل الجلوس وربط حزام الأمان ثم قالت:

- سنحضر القهوة والشاي والمرطبات بعد الاقلاع بقليل، فهل تريدين شيئاً؟.

وبسبب خبرة المضيفة وكياستها، عادت جانيت الى هدوئها المعهود. ولكنها ظلّت تحس، حتى بعد اقلاع الطائرة ودخولها في الغيوم البيضاء المتناثرة، بوجود ذلك الرجل قوياً ومؤثراً وكأن لا ستارة تفصل بين قسمي الطائرة.

جاهدت جانيت لتنقل تفكيرها من الرجل الى متعة الطيران والسفر. ففي كل حال، يجب ان يفهم انها غير مهتمة عل الاطلاق بمقعده الوثير... المريح.

٢- الوصول الى أرض المشاكل!

اختفت الغيوم البيضاء المتناثرة، واستطاعت جانيت ان تلمح محيطاً شاسعاً يترامى تحت الطائرة. كانت من الشجاعة، بحيث ركّزت نظرها على بعض الأمواج المتلاطمة، لكن ما ان عكست الشمس ظلّ الطائرة على البحر حتى اضطرت لسحب نظرها مرة اخرى الى الطائرة.

جاء الشاي والقهوة والمرطبات في منتصف الرحلة تقريباً. وعندما عاودت جانيت النظر من النافذة كانت الطائرة قد وصلت الى جبال البيريف. حدّقت بذهول في الثلوج المترامية التي غطت رؤوس الجبال، بعد ذلك بدأت تشاهد مجموعة من القصور والقلاع المتباعدة وسط البساتين التي لا حدود لها، لكن هذا المنظر غاب عن عينيها عندما دخلت الطائرة في غيومٍ رمادية كثيفة.

عند الساعة الخامسة تقريبا أعلن الطيّار أن الطائرة تقترب من

ابيزا وانّ الهبوط سيكون بعد عشر دقائق. احكمت جانيت حزام الامان، وألقت برأسها الى الخلف بنوع من القلق عندما غيّرت الطائرة اتجاهها وغاصت في قلب الغيوم الكثيفة.

ومن خلال فتحات متباعدة بين الغيوم استطاعت جانيت ان تشاهد الجزيرة تماماً كما تتذكرها من الرحلة الماضية... وقد أخذت معالمها تزداد وضوحاً كلّما اقتربت الطائرة من المطار. ودارت الطائرة، بانتظار اذن الهبوط في حين كانت جانيت تحاول عبثاً العثور على بيت امها وسط الحقول والبساتين المترامية. وقبل ان تعيد نظرها الى الداخل، كانت الطائرة قد حطت عجلاتها على مقدمة المدرج.

للحظات لم تكن تسمع غير صوت المحرك وأزيز العجلات. وتدريجياً خفّت سرعة الطائرة ثم ظهرت مباني المطار بوضوح.

وبمجرد وقوف العجلات وصمت المحرك، دبّت الحياة مجدداً داخل الطائرة. عاود الناس احاديثهم التي قطعوها اثناء الهبوط وهم يجهزون حقائبهم اليدوية، واغراضهم الخاصة تمهيداً للنزول، في حين جابت المضيفات الطائرة لتقديم المساعدة للذين يحتاجون اليها.

أدارت جانيت ظهرها للستائر البنية الفاصلة بين قسمي الطائرة واندمجت مع الجمع المتحرك. في الخارج كانت الباصات تنتظرهم لتعبر بهم المسافة القصيرة نحو مبنى المطار. بعد لحظات قليلة كانت جانيت في قاعة وصول المسافرين. للوهلة الاولى أحست بجو الوحدة والحزن الذي يميّز الاماكن التي تكثر فيها عمليات الوداع واللقاء. فقد كان الركاب يلوحون بأيديهم باتجاهات مختلفة، في حين جاب الحمالون المكان وهم يدفعون عرباتهم امامهم لنقل حقائب المسافرين الى موقف سيارات الأجرة واخيراً وصلت حقيبتاها، وقد فضلت جانيت ان تحملها بنفسها لتوفر بعض النقود. في الخارج كانت سيارات التاكسي موجودة، لكن السائقين لم يكونوا مستعجلين لنقل الركاب.

وكما كانت جانيت تتوقع، فقد اصيب السائق الذي اقترب منها

بخيبة أمل عندما علم ان بيت امها يقع في الريف البعيد. ذلك ان السائقين لا يحبون الذهاب في رحلات بعيدة بل يفضلون الفنادق القريبة ثم يعودون الى احاديثهم التي لا تنتهي امام المطار. فهم غير مهتمين بالمال، المهم عندهم ان يظلوا في الظل يتسامرون ويتضاحكون.

ظلت جانيت حازمة مع هذا السائق وطلبت منه ان ينقل الحقيبتين الى السيارة. وعندما خرجا من محيط المطار واخذا الطريق المؤدي الى الريف، قبل السائق مصيره برضى وعادت السعادة الى وجهه... ثم اطلق صوته على مداه باغنية اسبانية شعبية، وفي مثل هذا الجو، استغلّت جانيت الفرصة لتأمل الطبيعة الساحرة التي كانت تظهر بوضوح، رغم ان الظلام كان قد بدأ يحل على الجزيرة. ومع ذلك، كانت السماء صافية وفي كبدها التمع القمر البدر بأشعته الفضية. وقد اعطى هذا الضوء غير الطبيعي البساتين لوناً اخضر غامقاً، بحيث بدت البيوت البيضاء المتناثرة وكأنها قناديل في بحر من الخضرة الساكنة.

عبرت بها السيارة في وسط مدينة ايبيزا بشوارعها الضيقة وابنيتها البيضاء القديمة التي تتذكرها جانيت من زيارتها الماضية. ومن هناك اخذا الطريق الرئيسية الممتدة بين البساتين ثم انعطفا على الطريق الساحلي الذي يمرّ بالقرب من شواطىء سانتا اولاليا المشهورة... بحيث اصبحت المناظر الآن بحراً مترامياً يسبح بهدوء تحت أشعة القمر الفضية.

وعندما انعطفت السيارة مجدداً باتجاه الريف الداخلي، استعدّت جانيت لارشاد السائق على الطرقات. فمع ان سان غبرييل، القرية التي تسكنها امها، معروفة تماماً لدى سكان الجزيرة، الا انهم بحاجة لمن يرشدهم على الدروب المتعرجة التي تؤدي الى البيت، وجانيت ادرى من الجميع بهذه الدروب.

لاحت القرية الوادعة لجانيت التي اخذت تدلّ السائق على

الطرقات الواجب عليه السير فيها. وعلى طول الطريق اخذت تفتش عن شجرة الحور الكبيرة القائمة على مدخل الممر المؤدي الى بيت امها. وكما تتذكر، فانّ الشجرة تقع على مسافة عشر دقائق من وسط القرية... وبالفعل وصلا اليها بعد قليل.

قطّب السائق المسكين حاجبيه عندما طلبت منه جانيت الانعطاف يميناً في طريق غير معبد. لكنه فعل بدون تردد وقاد سيارته ببطء شديد.

وبينما كانت السيارة تتابع رحلتها المزعجة، أمعنت جانيت النظر في التلال والسهول كي تشاهد الفيلا التي سرعان ما ظهرت بجدرانها الوردية العالية. فخلال الصيف الذي امضته هنا قبل سنتين، لاحظت جانيت ان الفيلا ظلّت مغلقة ومهجورة معظم الوقت ولذلك لم تعرها اي اهتمام. اما الآن فقد عبرت من أمامها وفي نفسها غضب عارم. فالفيلا مضاءة ومسكونة باناس يحاولون سلب امها حقوقها المشروعة.

وكأنما ارادت ان تؤكد حق امها في الممر، فقد أمرت جانيت السائق بالدخول في الممرّ المهجور أمام الفيلا. تردّد السائق امام الطريق المعبد بحصى صغيرة، لكنه واصل السير على مضض امام الحاح جانيت... ووصل اخيراً الى البيت الابيض الصغير الذي اضاءت مدخله انوار خافتة.

وقبل ان تتوقف السيارة أمام الباب، سمعت جانيت نباحَ دال، الكلب الذي تملكه امها. وسرعان ما فتحت امها الباب وهرعت نحوها لاحتضانها بشوق واضح. واضطرّت جانيت لانتزاع نفسها من بين ذراعي امها كي تدفع الاجرة للسائق الذي كان يراقب المنظر باهتمام وعطف. أعطته الاجرة المطلوبة وأضافت اكرامية خاصة قبلها مبتسماً ثم ودّع السيدتين بلغته الاسبانية وركب سيارته عائداً من حيث اتى.

حملت جانيت حقيبتيها وتبعت والدتها الى داخل المنزل. خطت

فوراً الى غرفة جميلة مضاءة ثم عبرت الممر باتجاه غرفة النوم الثانية، في حين كان دال يقفز بين قدميها مرحاً. فتحت لها امها الباب، وانتظرتها حتى دخلت ثم قالت بمحبة وحنان:

- سوف اعد لك عشاءك، فلا بد انك جائعة تماماً!

امسكتها جانيت قبل ان تذهب وطبعت على خدها قبلة عميقة حارة، فأحست بنعومة بشرتها ورائحة عطر الورد التي اعتادت عليها مذ كانت طفلة... ثم تركتها ودخلت لترتب اغراضها.

غرفة النوم صغيرة ومرتبة ترتيباً جيداً، كما أنها مصممة لاعطاء اكبر قدر من الانتعاش والبرودة. فالأرض مغطاة بسجاد خفيف مصنوع من خيوط قطنية سوداء وبيضاء، في حين كان على السرير المزدوج غطاء عريض ينتهي بشراريب خضراء اللون. اما الجدران فقد كانت مطلية باللون الازرق السماوي، بينما غطت الستائر الخضراء المزينة بزهور بيضاء كبيرة، الجدار الذي يضم النافذتين الوحيدتين في الغرفة.

انها تتذكر تفاصيل الغرفة منذ ان استعملتها هي ونونا في الزيارة السابقة أما الآن فهي وحدها، ولذلك لا بأس من استعمال كافة الخزائن والادراج المصنوعة من الخشب الطبيعي. ليست لديها أية فكرة عن الوقت الذي ستقضيه هنا، ومهما كان الامر فلا بد ان تعد نفسها لكافة الاحتمالات. سرعان ما انهت عملية الترتيب لأنها لم تحضر معها الاّ بعض الثياب الصيفية الخفيفة. بعد ذلك توجهت الى الحمام لتغسل وجهها طلباً للانتعاش، ثم عادت الى غرفة الجلوس.

ومع ان هذه الغرفة مصممة على الطراز الاسباني الذي يبدو جلياً في المدفأة الممتدة حتى السقف الاّ ان الطابع الانكليزي، وبالتحديد طابع أمها، كان يبدو في صور العائلة المتناثرة على الجدران وفي الارائك الكبيرة ذات الحياكة اليدوية... وأيضاً في السلة الخاصة بالكلب دال.

واحست جانيت بأنها في بيتها فعلاً وهي تتجول في الغرفة تتأمل

الاباجورات المضيئة والعديد من التحف الصغيرة التي عرفتها منذ الطفولة... وقالت لنفسها بهدوء وحرارة:

- هذا هو بيتي...

نادتها امها من المطبخ الذي يقع الى الشمال من غرفة الجلوس.

جلست جانيت الى طاولة صغيرة محاطة بعدّة كراسي واقبلت على الطعام بنهم ملحوظ. ومع ان الطعام الاسباني الذي اعدّته لها أمها بدا غريباً مقارنة مع الطعام الانكليزي الذي اعتادت عليه في لندن، الاّ انها وجدته لذيذاً للغاية.

انهمكت السيدة كيندال في تقديم كل ما لذّ وطاب من طعام لابنتها الجائعة بعد ان قررت تأجيل كل الاسئلة التي تختلج على شفتيها حول كافة افراد العائلة لما بعد العشاء.

- خذي المزيد من الخضار يا حبيبتي، بل يجب ان تنهيها. سأجهّز لك المزيد من الجبنة اذا أردت!

- امي الحبيبة، انا لست حصاناً شرهاً.

ألقت جانيت هذه العبارة الى امها مازحة ثم قامت عن الطاولة واخذت بذراعها وتوجهتا سوية الى غرفة الجلوس. كان جوّ الغرفة دافئاً، وفي المدفأة اشتعلت بعض الاخشاب بألق خفيف في حين كان دال يغطّ في نوم عميق بعد ان انتهى دوره في الترحيب بالضيفة العزيزة.

جلست جانيت في كرسيّ منفرد وأسندت ذراعها الى اريكة جلدية كبيرة ومضت تحدث أمها عن كافة شؤون العائلة والعمل في لندن. اخبرتها ان اخاها ايان لن يترك عائلته في لندن بهدف العمل في بروكسل فقد وجدت الشركة شخصاً بديلاً للذهاب الى هناك، وهذا يعني ان فرصته في الترقية باتت مضمونة. واخبرتها ايضاً أنّ ابنة اخيها، الصغيرة ايما اصبحت طفلة جميلة جداً، وان ادريان حفيدها من ابنها الثاني، سيبدأ الذهاب الى المدرسة بعد عطلة الربيع الحالية.

وبمشاعر من اشتاقت الى ابنائها واحفادها، استمتعت السيدة كيندال بكل خبر حدثتها به ابنتها. كانت سيدة جذابة رغم التجاعيد التي غزت وجهها، والتغضن الذي أصاب جبينها لم يخف لمعان عينيها البراقتين. ومن عادتها ان تثرثر في امور كثيرة حتى عندما لا يكون الأخرون يستمعون اليها، وفي كل الاحيان تختم حديثها بضحكة خافتة. وما عدا ذلك فهي امرأة طيبة القلب جداً وعلى اتمّ الاستعداد لمساعدة كل محتاج.

وبعد ان انتهت اخبار العائلة والوطن، تركت جانيت فاصلاً زمنياً من الصمت يمرّ قبل أن تنتقل الى المسألة الأساسية وتقول بنبرة جدية رصينة:

ـ والآن ماذا عن سكان الفيللا؟ أرجو ان تحدثيني بكل شيء عنهم!

ـ ليس هناك الشيء الكثير يا عزيزتي.

لكنها مضت في حديث طويل عن اصحاب الشقة السابقين:

ـ كما تعرفين، اخطر السيد والسيدة ويستون للبيع. لقد كان الزوج تاجر مجوهرات ويملك العديد من المنازل في مختلف انحاء الجزيرة. وكما تعرفين، بنيا بيتنا هذا كي يشرفا من خلاله على أعمال البناء في الفيللا الأساسية. وعندما باعاني اياه رفضا ان يربحا أي قرش أكثر من التكاليف الاساسية. لقد كانا شخصين رائعين بالرغم من أنني لم ارهما كثيراً.

توقفت الأم قليلاً عندما لاحظت على وجه ابنتها تعبيراً يشير الى انها اطالت في مقدمة حديثها، ثم ابتلعت ريقها وبدأت من جديد:

ـ في كل حال، يظهر ان الزوج المسكين أصيب باضطرابات قلبية، وقد ابلغه الاطباء بخطورة السفر على حياته. وهكذا باعا كل ممتلكاتهما في الخارج واستقرا في لندن نهائياً.

أرادت جانيت ان تحدد الكلام اكثر فقالت:

ـ وماذا عن اصحاب الفيللا الجدد. هل التقيت بهم؟

ردت السيدة كيندال بسرعة:

ـ طبعاً، طبعاً. انهما السيد رالف فورد وزوجته اليزابيت أو ازمير الدا أو ما شابه. انهما غنيان جداً. يقولون انه يعمل في حقل النفط البحري. في ضيافتهم الآن عدد من الاصدقاء، بالاضافة الى أناس آخرين يأتون ويذهبون، بسياراتهم الانيقة الباهظة الثمن، من البر الاسباني على ما اعتقد، ويوقفونها في هذا الممر الضيق.

سألت جانيت بنفاد صبر:

ـ لكن، الم تحاولي الشكوى؟

اتسعت حدقتا السيدة كيندال وهي تقول:

ـ بالطبع. قلت لهم ان هذا العمل سيء للغاية خاصة عندما يأتي موزع الغاز او عندما يريد سائق صهريج الماء الوصول الى البئر لملئها.

وعادت جانيت الى التساؤل وهي تحاول كبت مشاعرها:

ـ وماذا قالوا لك؟

ـ قال السيد فورد انه على علم من خلال عقد البيع ان الممر جزء من الفيللا. وبما انه بحاجة ماسة اليه كموقف لسيارات ضيوفه، فقد ذكر انه سينظر في الجانب القانوني لتأكيد ملكيته. الحقيقة انه كان لطيفاً جداً.

وترددت السيدة كيندال قبل ان تضيف:

ـ الواقع انهم كلهم لطفاء.

انتفضت جانيت غضباً وهي تقول:

ـ اعتقد ان واجبهم يحتم عليهم اللطف. ومن الواضح انهم يتوقعون ان تقفي مكتوفة اليدين أمام محاولاتهم.

تنهدت الام بهدوء بدون ان تقول شيئاً، وقد تأكدت جانيت ان والدتها ستترك الامور تجري بدون ان تفعل شيئاً.

تابعت الخوض في تفاصيل الوضع قائلة:

ـ منذ متى جاء الناس الجدد الى هنا؟

ردت السيدة كيندال بمرح:

- منذ اسبوعين او ثلاثة فقط. المرة الاولى التي عرفت فيها ان الملكية انتقلت الى اناس جدد كانت عندما رأيت شاحنات النقل أمام الباب. لم أر الكثير من هنا، لكن اعتقد انهم كانوا يحضرون اغراضهم الشخصية. لقد علمت ان عائلة ويستون باعت الفيللا بكل ما فيها. وعلى ما أظن الاثاث كان رائعاً ومكوناً من قطع نادرة. صحيح اني لم أزر البيت ابداً، الاّ انني سمعت عن غناه الكثير.

قاطعت جانيت استرسال امها في الحديث قائلة:

- الم يكن السيد ويستون هو الذي أكّد لك ان بامكانك شراء الممر في وقت لاحق؟

- اجل. فلم يكن هو وزوجته مهتمين به. بل لم يكونا يستقبلان هذا العدد الكبير من الضيوف وسياراتهم. لقد ابلغت أنّ الممر كان يستعمل في الماضي لنقل الملح، وانه ملك للحكومة او احدى البلديات العامة. وهذا يعني انه حسب التخطيط سيباع بسعر رخيص للذين تقع بيوتهم على جانبيه.

همهمت جانيت مسرورة عندما سمعت كلمات امها الاخيرة وقالت:

- حسناً ان بيتك يقع على الممر تماماً!

ردّت السيدة كيندال بهدوء:

- اعرف ذلك ياحبيبتي. لكن الفيللا تقع عليه أيضاً.

- هذا صحيح. لكن مقدمة بيتك تطل على الممر، بينما يطلّون هم من مؤخرة الفيللا.

وافقت الام قائلة:

- طبعاً. ذلك ان السيد ويستون بنى هذا البيت بهذا الشكل كي يكون على بيّنة من أعمال البناء في الفيللا.

تنهدت جانيت بعمق:

- اعتقد انهم لم يفكروا في المشاكل التي خلقوها للناس الذين جاؤوا بعدهم.

أسرعت السيدة كيندال للدفاع عن عائلة ويستون:

- هذا غير صحيح. فدائما كانوا يعتبرون الممر ملكاً لي. ولا اذكر أنني شاهدتهم يستعملون الممر حتى ولا مرة واحدة، بينما كانوا يستعملون الطريق الجانبي الذي يتفرع من الشارع الرئيسي. أما السكان الجدد فهم يستعملون الممر دائماً.

علّقت جانيت بغضب:

- لا شك أنهم اكتشفوا أن الممر ليس ملكاً لأحد، لذلك قرروا أن بامكانهم ابتياعه.

- اعتقد ذلك ايضاً يا عزيزتي.

وبدا على السيدة كيندال الملل من هذا الموضوع، لكن جانيت ألحت مجدداً:

- يجب ألاّ نسمح لهم بذلك. سيصبح بيتك بدون مدخل اذا حصلوا على الممر، وهذا يعني أن سعره سيهبط ايضاً. في كل حال لن أقف مكتوفة اليدين أمام محاولاتهم هذه.

تنهدت السيدة كيندال مجدداً وقد بدت عليها الحيرة:

- لكنني لا اعرف ما يمكننا أن نفعل حيال ذلك؟.

قالت جانيت وكأنها تفكر بصوت عال:

- لا شك أن السيد ويستون قام ببعض الترتيبات الخاصة للسؤال عن امكانية شراء الممر، تماما كما فعل الناس الجدد!

وتذكرت امها على الفور بعض المعلومات التي كانت قد غابت عن ذهنها:

- اجل، لقد أخبرني بأنهم تحدثوا مع عمدة مدينة سان غبريل. فالأرجح ان كلّ منطقة تتبع أقرب مدينة اليها.

اظهرت جانيت علامات الانشراح وهي تقول:

- هكذا اذن، سنبدأ من هناك. فاذا كان السيد ويستون قد قدّم طلباً لشراء الممر عندما كان يقيم في البيت، فلا شك أن الطلب ما زال موجوداً. وما علينا الا أن نحرّك المسألة ونقنع المسؤولين في القرية بأن حصولك على الممر أمر حيوي بالنسبة إليك والى بيتك.

- لا مانع، اذا كنت تعتقدين ذلك ياعزيزتي.

عانقت جانيت امها لتشجعها عندما لاحظت النظرة المتشككة في عينيها:

- لا تقلقي ابداً. سأهتم أنا بكل ما يلزم، ولن تكوني مضطرة للقيام بأي شيء.

قالت الام وهي تعبث بغطاء الموقد:

- لكن هذه الامور تأخذ وقتاً طويلا !.

طبعت جانيت قبلة حارة على وجنة امها وقالت:

- هذا لا يهمّ. الغيت عطلتي في اليونان، ولدي من المال ما يكفي مهما طالت مدة اقامتي هنا.

- كم اشعر بالامتنان لوجودك معي.

ثم اردفت في محاولة لتغيير الموضوع:

- ما رأيك الآن بفنجان شاي قبل النوم؟.

عندما اوت جانيت الى فراشها، ولم تعد تسمع الا أصوات العصافير والسكون المطبق الذي اصبح غريباً عن اذنيها بعد الضجيج المستمر في ازقة لندن وشوارعها، عادت الى ذهنها طريقة ردّ فعل امها على الموضوع برمته. فهذه السيدة الطيبة القلب تكره المشاكل وتحاول دائما تجنبها، وليست من النوع الذي يخوض المعارك.

لكن جانيت قادرة على ذلك، وهي مصممة على فعل أي شيء من أجل أن تحصل امها على حقها في الممر.

استيقظت جانيت على الأصوات المألوفة في الطبيعة عندما انفتح باب غرفة النوم ودخلت امها حاملة صينية الطعام واقتربت من السرير.

انتصبت في سريرها وألقت نظرة خاطفة على الساعة. كانت قد تجاوزت التاسعة. تلقت الصينية من امها وخاطبتها بلهجة لطيفة:

- اماه، كان يجب أن توقظيني قبل الآن.

بدأت بتناول طعامها المكوّن من البيض المسلوق وبعض الزبدة والمربيات والخبز، بالاضافة الى الشاي بالحليب.

- اعرف انك متعبة بعد سفر امس، لذلك ارتأيت أن اتركك ترتاحين قليلا.

استمتعت جانيت بطعامها في حين كانت الشمس تتسلل من بين الستائر لتملأ الغرفة بضياء ساطع، مبشرة بيوم دافيء جميل. أليس من الرائع أن ترتاح بقميص نومها القطني في سريرها الهانيء بدون أن تضطر الى حشر نفسها في قميص صوفي ثقيل درءاً للبرد؟

ابتلعت آخر رشفة من فنجان الشاي وتمنت أن تظل في السرير طيلة النهار، لكنها لاحظت أن والدتها غير مستقرة على حال فهي تارة ترتب غطاء السرير، وطوراً تفتح الستائر ثم تعيد اغلاقها، وتارة اخرى تضع منفضة السكائر في مكانها المعتاد. . . وهذه حالها عندما تكون حاملة بعض الانباء الجديدة.

لم يطل انتظار جانيت، اذ سرعان ما قالت وهي ترتب الستائر للمرة العشرين تقريباً:

- سمعت أن ضيفاً جديداً حلّ في الفيللا مساء امس.

ابتسمت جانيت وهي تتابع تناول فطورها، ثم قالت:

- لم اعرف انك اصبحت ضليعة باللغة الاسبانية بحيث تشاركين في الاحاديث والشائعات في هذه المنطقة.

فجانيت تعرف أن امها قادرة على تدبير أمورها البسيطة باللغة الاسبانية، اذ انها لم تكن راغبة وهي في مثل هذا العمر في تطوير معرفتها بهذه اللغة.

اعترفت السيدة كيندال بخجل:

- ما زلت كما أنا، لكن جوانا، وهي امرأة تعمل في الفيللا وتعرف بعض الانكليزية اخبرتني. فأنا أحادثها في بعض الاحيان عندما تجمعنا الصدفة.

تمهلت الام في ترتيب بعض الاغراض، وعندما مضت دقائق على

جو الصمت قالت:

- احزري هذا الضيف الجديد!

ردّت جانيت بترقب:

- ليس لدي أدنى فكرة!.

انشغلت السيدة كيندال في سكب فنجان من الشاي لنفسها، ثم انحنت على ابنتها وكأنها على وشك ابلاغها بسر خطير:

- انه بروس والبروك!.

وعندما لم تبد جانيت علامات الدهشة والاستغراب التي توقعتها الام، تابعت السيدة كيندال تقول:

- انه بروس والبروك المحامي المشهور! اسم معروف جداً في انكلترا!.

فكرت جانيت في الاسم ثم قالت بلا مبالاة:

- اعتقد انني سمعت بالاسم. هل قلت انه محام؟.

وفجأة وجهت نظرة حادة الى امها وقالت:

- ماذا يفعل في الفيللا؟ هل تعتقدين أنه جاء لقضاء الاجازة؟.

اجابت الام بلهجة مليئة بالشكوى:

- كلا. اعتقد أن رالف فورد أحضره كي يتابع له مسألة الحصول على الممر.

اتذكّر ما قاله عن مراجعة حقوقه في الفيللا وما جاورها، وكما تعلمين فالاغنياء يوكلون المحامين لمتابعة قضاياهم. أليس كذلك؟.

- لكن وجود المحامين لا يحقق لهم دائماً ما يرغبون.

شدّدت جانيت على جملتها الاخيرة، ثم انهت ارتشاف فنجان الشاي قبل أن تتابع بغضب مكتوم:

- محام او بدون محام، عليهم جميعاً أن يواجهونا معاً.

انهت جانيت استحمامها وعادت الى غرفتها كي تقلّب المسألة من كافة وجوهها بعد التطور الجديد الذي حدث اليوم. لكن سرعان ما ابعدت الموضوع كلّه عن ذهنها عندما ارتدت ملابسها وتوجهت نحو

الباب الخارجي. فقد علمت من امها أن القضايا الرسمية في هذه الجزيرة تأخذ وقتاً طويلاً. وهذا يعني أن وجود محام بريطاني لن يعجل في الامر ابداً.

لفحتها أشعة الشمس عندما أصبحت في الخارج، لكنها واصلت جولتها في البرية المجاورة. وكما في كل مرة، أحست جانيت برعشة فرح تجتاح نفسها للمناظر الخلابة المحيطة بها. وادركت أكثر الاسباب التي دفعت عائلة ويستون الى اختيار هذه المنطقة لبناء الفيللا.

فالجبال القريبة المغطاة بأشجار الصنوبر، وخلفها السماء زرقاء صافية، تعطي الفيللا منظراً أخاذاً يزيد في جاذبيته البساتين المزروعة الممتدة الى الجهة الاخرى، ولاعطاء لمسة جمالية أخيرة، كانت هناك ثلاث شجيرات نخيل نمت داخل أراضي الفيللا بحيث أصبحت علامة مميزة في المنطقة.

غضّت جانيت بصرها عن منظر الفيللا، وعادت للتفكير في مشاغلها وذلك بالتمعن في هندسة بيت امها وموقعه من الفيللا والممر. كان البيت مستطيل الشكل ومن دور واحد مع امتداد صغير الى اليمين، أي الى جهة الممر. وعلى طول امتداد البيت يقع بستان واسع طرفه يشكل جزءا من الممر المتنازع عليه. وباستثناء جدار قديم شبه منهار، وبعض الاسلاك الشائكة لمنع الكلب من الضياع في الحقول، فإن شيئاً لا يميز الارض الملحقة ببيت الام عن الممر والحقول المجاورة.

نقلت جانيت نظرها الآن الى الفيللا بجدرانها المرتفعة. كانت الفيللا تمتد بمحاذاة الممر من الجهة المقابلة وتضم قطعة من الارض بطول القطعة التي يضمها بيت الام. واستطاعت جانيت من مكانها أن ترى الباب الاسباني الطراز المؤدي اليها عن طريق الممر، لكن هذا الباب كان المدخل الجانبي. فهي تعرف أن هناك مدخلاً رئيسياً مماثلاً يطل من الجهة الاخرى.

مرة اخرى عادت جانيت لتدرس هندسة بيت امها وموقعه. فوجدت أنها مضطرة للاعتراف بأن باب البيت مثل باب الفيللا يطل على الحديقة من ناحية، وعلى الطريق الزراعي من الناحية المجاورة، لكن من الواضح أن البيت صمم ليكون الممر هو المدخل اليه... وهذا الامر واضح للعيان تماماً.

كان دال يدور حولها منذ أن غادرت البيت. أما وقد انتهت من مقارنتها بين الفيللا والبيت، فقد أخذت تداعبه وتلاعبه في حين انهمكت امها في ري الزهور التي تحتفظ بها أمام المنزل. كانت هناك شجرة ياسمين نمت لتتسلق الجدار الامامي بمعظمه، وعلى الجدار المجاور تسلقت نبتة ذات زهور حمراء قانية... اما غرسة العنب التي زرعتها قبل سنتين فقد اصبحت كرمة وارفة الظلال.

لم تكن الام قادرة على فعل الكثير في الحديقة الكبيرة، لكن النباتات والزهور البرية التي تنمو في الصيف أعطت الحديقة طابعا خاصا وجذاباً، بالاضافة الى شجرتي التين المثمرتين.

جلست جانيت في المقعد الموجود على الشرفة والتفتت الى والدتها، فاذا بنظرها يقع على سلة صغيرة من النوع المخصص للقطط، فسألت امها على الفور:

ـ لم اكن اعرف أن عندك قطعة!

توقفت السيدة كيندال عن ري زهورها والتفتت الى جانيت التي حملت القطة وراحت تداعبها:

ـ لقد حصلت عليها من المزرعة. كانوا يريدون التخلص من عدّة قطط، ورأيت من واجبي أن انقذ واحدة على الاقل.

اطلقت ضحكة قصيرة وتابعت تقول:

ـ كانت ذات اطراف طويلة عندما حصلت عليها. ولذلك أطلقت عليها اسم توبجي.

ابتسمت جانيت لامها وتركت القطة التي راحت تتلمس قدميها بكسل.

اضافت السيدة كيندال تقول:

ـ عمرها الآن ثمانية اشهر. والواقع أنها اصبحت عزيزة جداً، وهي مفيدة من حيث قدرتها على طرد جرذان الحقول.

ردّدت جانيت كلمة ـ مفيدة ـ بتعجب واستغراب، وفي الوقت نفسه التفتتا معاً باتجاه الشخص الذي ظهر من باب الفيللا الجانبي وبدأ السير باتجاه الممر. كان طويل القامة متناسق الجسم ويرتدي ثيابا فخمة تعكس وضعه الاجتماعي.

ولا شك أنه ضيف في الفيللا. وكادت جانيت أن تبعد نظرها عنه عندما جذبها شيء في وجهه. حدّقت مجددا في الوجه الذي اتضحت معالمه اكثر، فاذا بها تتذكر اين ومتى شاهدته، سألت امها بلهفة:

ـ من هو هذا الرجل؟ هل تعرفينه؟.

اشرق وجه السيدة كيندال كدليل على معرفتها للشخص المعني:

ـ طبعاً. انه الرجل الذي اخبرتك عنه صباح اليوم ياعزيزتي. انه المحامي الذي جاء الى الفيللا مساء امس.

والتقت عينا جانيت بعيني الرجل الزرقاوين، فاذا بهما العينان اللتان جذبتاها في مقعدها بالطائرة، او الاصح مقعده، راقبتاها بارتياح وهي تبتعد الى مقعدها الخلفي. همست في اذن امها بينما نظرها يتابع الرجل:

ـ هل تقصدين ان هذا الرجل هو بروس والبروك؟

٣ـ العدو اللدود

كانت السيدة كيندال منشغلة بتوزيع ابتسامتها على الرجل الذي يسير على مقربة منها بحيث لم تقدّم لابنتها الاجوبة التي تريدها. والحقيقة ان جانيت لم تكن تنتظر اي جواب. فقد احست منذ ان رأته في مطار لندن انها امام عدو لدود، وها هي احاسيسها تتأكد الآن. ومرّة اخرى سمعت الصوت العميق الهادىء الذي سمعته في الطائرة، عندما حيّا الرجل امها قائلا:

ـ صباح الخير، انه يوم جميل ودافىء.

ردّت السيدة كيندال:

ـ اهلا وسهلا. فعلا انه نهار جميل.

اما جانيت التي لم تكن متأثرة بأدب ولطافة هذا الرجل، فقد

استطاعت التسلل من المكان بحجة اخذ الكلب في نزهة قصيرة عن طريق الحقل الصغير المحيط بالبيت.

في منتصف الحقل، كان هناك ممر يؤدي الى شجرة اللوز العتيقة التي تشكل حدود البيت. ركزت جانيت نظرها على الشجرة البعيدة وانشغلت بملاعبة الكلب كي تخفي خجلها واضطرابها من لقاء شخص تمنت قبل يوم واحد فقط ان لا تراه ابدا. وازداد اضطرابها الآن لانها ادركت كم كانت جاهلة عندما لم تفطن لنواياه منذ اللحظة الاولى. اذ لا يكفي انها مضطرة لاحتمال وجوده في الفيللا المجاورة، بل هو هنا للعمل على نزع حق والدتها في الممر واعطائه لاصحاب الفيللا.

ازدادت مشاعر الغضب في نفسها وحثّت خطاها مبتعدة عن البيت والتمنيات التي تبودلت قبل لحظات بين الرجل وامها. فهي لا تريدة ان يفكر بانها ستتصرف كما لو ان حادث الطائرة لم يقع ابدا.

وصلت جانيت الى اطراف الحقل وهي غارقة في افكارها لتخوض في مساكب من الخضار التي زرعتها امها لاستعمالها البيتي. والى جانب المساكب سياج حديدي صغير يخص عدّة دجاجات وبطات ومجموعة من الارانب، بل وعنزة ايضا.

فتحت جانيت باب السياج الحديدي ودخلت لتبحث عما اذا كان هناك بيض طازج، بعد ان تركت الكلب في الخارج. وجدت بالقرب منها سلة من القصب، فحملتها وراحت تبحث تحت الدجاجات التي تراكضت في كل اتجاه. وجدت ثلاث بيضات وضعتها في السلة وتركتها في مكان امين قبل ان تواصل جولتها.

في نهاية الحقل كان هناك كوخ صغير وضعت فيه الام كل الاغراض التي لا تريد رؤيتها في البيت، وفي الوقت نفسه لا تريد التفريط فيها. شاهدت جانيت ساعة حائط قديمة، مكنسة كهربائية معطلة، والعديد من الاشياء التي غطاها الغبار.

وقعت عينا جانيت على الدراجة الهوائية التي كانت الام تستعملها

للتسوق في انكلترا، ثم احضرتها معها الى الجزيرة للهدف نفسه . . . لكن من الواضح انها لم تفعل.

بعد جولة قصيرة، غادرت جانيت الكوخ حاملة سلة البيض واخذت تبحث عن الكلب. كانت قد تركته للحظات فقط، لكنه اختفى الآن بدون ان يترك اثرا. خفق قلبها خوفا عندما خطر في بالها ان يكون قد غادر الحقل غير المسيج. ولم تطل حيرتها، اذ ظهر دال الى جانبها خارجا من خلف الكوخ. . . حيث كان يلعب مع الرجل غير المرغوب فيه السيد والبروك.

ـ دال، تعال الى هنا فورا.

صرخت بصوت مكتوم وهي تحاول الا تركض خوفا من ان تكسر البيضات، لكن الكلب تجاهل اوامرها كليا ومضى يلاعب اليد الممتدة اليه بعطف. حثت جانيت خطواتها اكثر وهي تتميز غضبا لعصيان الكلب أوامرها. ولعل الكلب احس طبيعة مزاجها المتعكر، فاستدار تاركا الرجل.

لكن رفض الكلب لاوامرها للوهلة الاولى اصابها بصدمة جمدتها في مكانها. وكانت على وشك ان تتجاهل الشخص الواقف قبالتها عندما التقت عيناه الزرقاوان بعينيها وسمعت صوته العميق يقول:

ـ أرى ان طباعك لم تتحسن بعد!

تضرج خداها بالدم، ولاحظت انها كانت فظّة معه في اكثر من مناسبة. ولكنها لم تكن قادرة على الاعتراف بهذا الامر:

ـ اذا كنت تقصد انني لم اقف صباحا لتحيتك عندما ظهرت امامنا خاصة انني اعرف لماذا انت هنا، فان طباعي لن تتحسن.

كان من الواضح انه خرج هذا الصباح ليدرس وضع الممر بالنسبة الى البيت والفيللا. لكنه اخذ اطراف الحديث متجاهلا عبارتها الاخيرة وقال:

ـ من الافضل ان نتعارف. انا بروس والبروك. وكما قلت، فانت تعرفين سبب وجودي هنا.

عدلت جانيت من وقفتها وردّت عليه بهدوء:

ـ انا جانيت كيندال، واظنك تعرف انني هنا للسبب نفسه. فانا لا انوي الوقوف مكتوفة اليدين واراقب والدتي وهي تتعرض للاحتيال.

ـ أعتقد اننا سنترك تعابير الاحتيال خارج قاموسنا، أليس كذلك يا آنسة كيندال؟

كان صوته بارداً وكأنه تكسر الجليد تحت تدفق مياه قوية.

احست جانيت برعشة خوف بسيطة عندما تصوّرته بزي المحاماة الرصين. لكنها استردّت رباطة جأشها وتذكّرت انها ليست في قفص الاتهام الآن:

ـ ماذا يمكن ان تقول اذن؟ لعلك لا تعرف ان امي سبقت الجميع في المطالبة بهذا الممر طيلة السنتين الماضيتين، بينما وصل اصحاب الفيللا قبل اسابيع قليلة. فكيف يمكن ان يطالبوا بحقوقهم في الممر؟

ردّ المحامي بابتسامة ساخرة:

ـ من اجل ايضاح الصورة القانونية يا آنسة كيندال، اقول لك ان قطعة الارض التي قام عليها بيت امك جزء من الفيللا. والبيت الذي قرر السيد ويستون بناءه على تلك القطعة ليس الا اضافة حديثة، وهذا يعني تلقائيا انه بات في المرتبة الثانية من حيث المطالبة بالممر مقارنة مع الفيللا القائمة هنا منذ اكثر من قرن كامل.

قالت جانيت بعدم اكتراث:

ـ هذا صحيح بالنسبة الى الفيللا القديمة التي هدمت بالكامل.

ـ هذا لا يغير شيئا من وجهة نظر القانون.

ثارت جانيت لتعابيره الباردة الحاسمة وصرخت قائلة:

ـ قانون من؟ طبعا ليس قانون ابيزا. فالسيد ويستون اكد لأمي ان تصميم بيتها يضم الممر كمدخل اليه، وعلى هذا الاساس رتب الوضع مع المسؤولين في القرية.

تمعن بروس والبروك بجانيت من رأسها حتى اخمص قدميها وهو

يبتسم الابتسامة الساخرة نفسها وقال:

ـ لو كنت مكانك لما اعتمدت على هذا ابدا. فالتدابير الشفهية عادة تسقط دون ادنى تأثير.

ردّت جانيت مستعملة اسلوبه:

ـ بالتأكيد. ولهذا لا سبب يدعوك للتفاؤل الزائد... اليس كذلك؟

اعاد بروس التحديق فيها بحدة، ثم حوّل نظره الى الممر معبرا عن نفاد صبره وقال:

ـ لست ادري لماذ يحتاج بيت صغير الى ممر. يبدو لي ان امك يمكن ان تحصل على ممر خاص يشق من الطريق الزراعي عبر الجدار القديم ثم الى الحديقة التي يمكن ان تستوعب موقفا لسيارة او سيارتين.

لجأت جانيت الى المنطق نفسه لترد على الرجل الذي يحاول التقليل من اهمية بيت امها:

ـ والشيء نفسها يمكن ان يقال عن الفيللا!

اجابها ببرودة قائلة:

ـ الواقع ان معظم اراضي الفيللا حدائق هندسية جميلة بحيث لم يتبق مكان لممر صغير من البوابة الرئيسي. وبما ان اصحاب الفيللا يستقبلون الكثير من الضيوف، فالامر بالنسبة اليهم لا يحتمل.

ردت جانيت بعنف شديد.

ـ وهل تعتقد ان ذلك يكفي للاستيلاء على املاك ارملة وحيدة؟

اجابها بلهجة قاسية:

ـ الممر ليس ملكا لاحد بعد يا آنسة كيندال.

ولم تعر جانيت كيندال اهتماما لنظراته الباردة المتحدية، بل استمرت في هجومها قائلة:

ـ حسنا، فقيما يخصني اعتقد ان الممر ملك لأمي، وسأفعل كل ما في وسعي لضمان حصولها على حقوقها.

تبادل المحامي وجانيت نظرات عدائية مكشوفة، في حين حافظ

هو على ابتسامته القانونية الباردة وتابع قائلا:

ـ من المفيد ان يعرف الانسان مواقف الطرف الآخر.

في هذه الاثناء كان الكلب دال قد ملّ من الدوران في الحلقة التي تجمع الشخصين وبدأ ينبح بصوت خافت، لذلك انتهز بروس الفرصة وقال:

ـ أستودعك الله يا انسة كيندال.

ـ وداعاً يا سيد والبروك.

اطلقت جانيت هذه العبارة ببرودة واضحة ثم استدارت عائدة الى البيت. ولم تلحظ جانيت، بسبب الاحاسيس المتضاربة التي تخفق في صدرها بعد هذه المعركة الكلامية، ان بروس كان يسير بمحاذاتها من الجهة الاخرى للبيت. بل تابعت سيرها بلا مبالاة وتشاغلت بملاعبة الكلب عن خفقان قلبها الشديد واعصابها المتوترة. وعندما وصلت الى باب البيت الخلفي عبرته بسرعة وهي تتنفس الصعداء لتخلصها من ذلك الظل المزعج.

كانت الام تغني احدى اغنياتها المفضلة وهي تعد بعض الطعام في المطبخ. وعندما دخلت جانيت بادرتها بالسؤال:

ـ ماذا كنت تتحدثين مع السيد والبروك يا عزيزتي؟

ـ لا شيء، فقط وضعته في الصورة التي نراها للبيت والممر.

وانتظرت حتى هدأت اعصابها وتوقفت قدماها عن الارتعاش ثم قالت:

ـ ابلغته اننا لن نوافق على اي شيء لا يعطينا ملكية الممر بالكامل.

لكن الوالدة كانت قد نسيت السؤال الذي طرحته قبل قليل، ومضت تعمل بنشاط متنقلة بين الطاولة والفرن الى ان رأت البيض الذي احضرته جانيت فقالت بسرور:

ـ انا سعيدة جدا لما احضرته وافكر باعداد صينية لحم بالبيض للغداء، فما رأيك بذلك؟

ـ وجدت اني لا اعرف ماذا خلف السياج، لذلك قررت البحث

وعثرت على ثلاث بيضات.

وضحكت جانيت بسعادة لانها استطاعت ان تشغل فكرها في امور غير المحامي والممر. ومع انها شاركت بنشاط في عملية اعداد الطعام وراحت ترنم بعض الالحان الخفيفة وهي ترتب الطاولة، الا ان احساسا بالضيق ظل يراودها لعلمها بان المعركة من اجل الممر قد بدات فعلا. صدامها مع بروس والبروك بات المسألة الواضحة للغاية. ولما فكرت بهذا المحامي شعرت برغبة عارمة للخروج اليه ومهاجمته بعنف بدلا من الانشغال باعداد الأطباق والشوك والسكاكين، فلا شك انه يخطط الآن لخطواته التالية. . . وعند هذا الحد من التفكير احست انها في سباق مع عدوها الذي يستعد بكل قواه. . .

وعلى المائدة سألت جانيت امها قائلة:

- على فكرة، لقد شاهدت الدراجة الهوائية في الكوخ، الا تستعملينها حاليا؟

- الواقع انني لست بحاجة اليها.

صبت السيدة كيندال قدحين من الماء المثلج لها ولابنتها وتابعت قائلة:

- ان ميخيل الذي يعمل في المزرعة يحضر لي يوميا الخبز والحليب واية اغراض اخرى احتاجها من القرية، وفي نهاية الاسبوع استقل الباص كي اتسوق من سوق المدينة.

وشغلت الام نفسها بتقليب عدة اغراض على الطاولة قبل ان تطرح السؤال الذي يلح في ذهنها:

- لكن لماذا تسألين يا حبيبتي؟

حبست جانيت انفاسها قليلا ثم قالت:

- فكرت في استعمالها للتنقل ما دمت انا هنا الآن.

وعندما شاهدت علامات الموافقة على وجه امها اضافت:

- الحقيقة انني افكر في استعمالها بعد الغداء للتوصل الى القرية

ومقابلة رئيس البلدية على الفور.

ضحكت السيدة كيندال وهي تنظر لابنتها بعطف:

- هذه ابيزا يا حبيبتي. لا شيء يتحرك على الاطلاق قبل الساعة الرابعة، وحتى ساعة البلدية تنام في هذا الوقت.

جلجلت ضحكة الام في الغرفة قبل ان تتابع:

- فهم دائما يعيدون تحركها عند حلول الساعة الرابعة.

اذن جاء وقت الملل. لقد نسيت جانيت كل ما عرفته في رحلتها الماضية، والآن بات عليها الانتظار حتى تتحرك الحياة مجددا في القرية.

ولكن جانيت كانت مصرّة على شغل وقتها كي تتناسى احداث اليوم، فقامت بجلي الصحون وترتيب المائدة، ثم انكبت على كتاب تعلم اللغة الاسبانية لزيادة معرفتها بهذه اللغة. وبينما هي منشغلة في حفظ جمل اسبانية تعني «اين مقر البلدية؟» او «اريد ان اقابل رئيس البلدية»، كان البيت قد دخل في الجو الاسباني الكامل. فالام في سريرها تمضي قيلولة بعد الظهر، والكلب نائم الى جوارها، اما القطة توبجي فقد غرقت في سلتها الوثيرة المكشوفة للشمس الحادة.

امضت جانيت وقتا طويلا وهي تراجع عن ظهر قلب ما علق من جمل اسبانية في ذهنها. كانت الفيللا المقابلة غارقة في الشمس والصمت ايضا. تساءلت جانيت عما يمكن ان يقوم به بروس والبروك الآن! وتبيّن لها ان الشيء الوحيد المتاح له الآن هو ان يذهب لرؤية رئيس البلدية، كما ستفعل هي تماما.

وخوفا من ان يسبقها المحامي الى موعد مع رئيس البلدية، قامت جانيت بغسل وجهها بسرعة ثم وضعت بعض لمسات من الماكياج. . . ومع ان الساعة لم تكن قد تجاوزت الثالثة والنصف فقد صممت على الخروج فورا. اخرجت جانيت الدراجة الهوائية من الكوخ، وقادتها عبر حديقة البيت محاولة الا توقظ الكلب فيكشف عن رحيلها المبكر. وعندما وصلت الى الطريق الزراعي

امتطت الدراجة وراحت تقودها بصمت وهدوء. كانت ابواب الفيللا مشرعة، الا ان جانيت لم تلحظ سوى الحدائق الداخلية الجميلة وسيارتين فخمتين متوقفتين في الداخل.

الطبيعة الريفية الجميلة كانت نائمة مثل اي شيء آخر في الجزيرة، وكل الأصوات الممكنة غابت في الافق البعيد باستثناء طنين نحلة او زقزقة عصفور شارد.

اضفت عجلات الدراجة صوتا خفيفا على الصمت عندما وصلت الى الطريق المعبد. واستغربت جانيت شدة حرارة الشمس مع انهم ما زالوا في نيسان (ابريل) المعروف باعتدال حرارته. كانت الشمس تضربها على رأسها بحدة، ووجدت عيناها صعوبة في التركيز على الطريق لانعكاس الاشعة على الاسفلت الساخن. لذلك فكرت ان تشتري قبل اي شيء قبعة قش واسعة ونظارات شمسية.

اضطرت جانيت الى بذل مجهود عضلي اكبر عندما وصلت الى الطريق الذي يصعد نحو التلة القائمة عليها القرية. لكنها عجزت مما دفعها الى التوقف والصعود مشيا وهي تدفع العجلة الى جانبها... واخيرا قررت التخلي عنها فتركتها قرب شارع فرعي على امل ان تأخذها عندما تعود.

كانت المدينة خالية تماما وكأنها مدينة اشباح بالفعل. فالبيوت البيضاء الغافية مغلقة باحكام ويبدو انّ اصحابها هجروها الى الابد.

واصلت جانيت التقدم داخل شوارع القرية بدون ان يخطر ببالها الالتفات الى الخلف... ولكنها عندما فعلت وجدت نفسها امام منظر طبيعي مذهل. فقد شاهدت السهول الخضراء التي لوحتها اشعة الشمس تمتد الى ما لا نهاية حتى تلتقي بسفح سلسلة الجبال عند الافق البعيد.

كان الرجل الذي التقته جانيت داخل مبنى البلدية يقرأ صحيفة الظهيرة بدون ادنى اهتمام. خاطبته بالمفردات الاسبانية التي حفظتها عن ظهر قلب، لكنه لم يجب، بل اكتفى برسم علامة استفهام كبيرة

على وجهه. وبعد جهد جهيد استنزف من جانيت كل ما تعلمته من الاسبانية بالاضافة طبعا الى صبرها غير المحدود، ابتسم الرجل ولم يقل سوى:

ـ نعم...

وجن جنون جانيت التي وجدت نفسها عاجزة عن الفهم، خاصة ان الجواب الذي اعطاها اياه الرجل كان يخص رئيس البلدية.

واضطرت الى الاستعانة بالقاموس الاسباني مع تحريك اليدين والاصابع وكل تقاطيع الوجه، واخيرا فهمت ان رئيس البلدية يرحب بكل الناس، لكنه لن يستطيع مقابلتها الآن لانه موجود في فالنسيا لبعض الاشغال التي تتعلق بالبلدية، وانه لن يعود قبل عشرة ايام.

صرخت جانيت:

ـ عشرة ايام!

ـ أجابها الرجل بهدوء:

ـ تقريبا، ويمكن اقل.

وعندما الحت جانيت في مقابلة من ينوب عن رئيس البلدية في غيابه لأمور ضرورية وعاجلة، واجهها الرجل بالنفي الحازم، وطلب منها ان تعود بعد عشرة ايام اذا كانت تريد حل مشكلتها.

خرجت من المبنى الحجري وهي تندب حظها السيء. عشرة ايام كاملة من الانتظار؟ لو انها حضرت قبل يوم لكان من المعقول ان تلتقي رئيس البلدية وينتهي الامر.

في الخارج، كانت الحياة قد بدأت تعود تدريجيا الى القرية اذ فتحت الحوانيت ابوابها، وامتلأ الشارع الرئيسي بالاطفال الذين غادروا قبل قليل المدرسة الكبيرة الوحيدة. وفكرت جانيت ان غياب رئيس البلدية ليس سيئا الى هذا الحد، فعلى الاقل لن يستطيع بروس والبروك ان يلتقيه ايضا.

وما ان ورد اسمه على فكرها، حتى لمحته في سيارة فخمة يتوجه الى

مبنى البلدية الذي غادرته قبل لحظات. رمقته جانيت بنظرة حادة وكأنها تعلمه انها تعرف تماما ماذا يريد، ولكنه لن يحصل عليه ابدا.

وعندما وصلت الى المكان الذي تركت فيه دراجتها الهوائية، وجدت مجموعة من الاطفال وقد تجمعوا حولها وهم يتضاحكون. لكن الضحكات خمدت على الفور بمجرد اقترابها منهم. ابتسمت جانيت في محاولة لكسر طوق العزلة، فرد الأطفال الابتسامة باحسن منها. ومع ذلك كان من الصعب عليها التحدث اليهم بسبب عائق اللغة. واخيرا لوحت لهم بيدها مودعة وامتطت دراجتها عائدة الى البيت.

وعند تقاطع الطرق خارج القرية سمعت خلفها صوت محرك سيارة، فادركت ان بروس والبروك عاد من البلدية صفر اليدين. وفاجأها عندما توقف بالقرب منها وسألها قائلا:

ـ هل تريدين ان اوصلك الى البيت؟

ردت جانيت بهدوء جاف:

ـ لا شكرا. هذه الدراجة تفي بالحاجة.

تسللت السيارة ببطء متابعة طريقها نحو الفيللا، في حين بذلت جانيت جهدا للاحتفاظ بتوازنها بعد هذه المفاجأة غير المتوقعة. واخيرا وصلت الى البيت مبللة بالعرق والغبار... وسرعان ما انطلق عواء دال وكأنه يريد ان يخبر العالم انها عادت الى البيت بعد غياب.

كانت الام قد انهت للتو قيلولة الظهر، وبدت في منظر محبب وهي ترتدي فستانا ابيض اللون يناسب ايام الصيف الحارة. فاستغربت جانيت كيف ان امها استقبلت نبأ غياب رئيس البلدية بلا مبالاة وكأن الامر لا يعنيها، بل اكتفت بالقول:

ـ حسنا يا حبيبتي. ما رأيك بفنجان من الشاي مع الليمون ينعشك بعد هذه الرحلة المتعبة... ونتناوله في الباحة الخلفية؟

ورغم الضيق الذي احست به جانيت تجاه رد فعل امها، الا انها وجدت الجلوس في الباحة الخلفية مريحا للاعصاب. كانت الشمس

قد بدأت انحدارها نحو المغيب وقد خضبت الجبال البعيدة بلون ناري، وبدا كل شيء مغطى بطبقة من الذهب والنحاس.

وفجأة، قطعت جانيت حبل الصمت قائلة:

ـ هذه المناظر مريحة تماما يا امي، ولكنني لم اقصد ايبيزا للسياحة بل جئت من اجل حل مشكلة الممر باسرع وقت ممكن.

ردّت السيدة كيندال بهدوء:

ـ ما الأمر يا جانيت؟ لا فائدة في استعجال امور خارج ارادتنا. وبما انك هنا، فلماذا لا تستمتعين بهذا الجو المنعش الجميل؟ لقد قلت عندما وصلت امس ان الاستعجال غير ضروري.

تنهدت جانيت بعمق وهي تدرك المنطق الصحيح في كلام امها. فبعد رحلتها الى القرية عند الظهر، تأكدت ان لا شيء يمكن ان يغير دورة الحياة الروتينية هناك، حتى ولو حدث زلزال مدمر. المهم الآن ان تتمتع بهذه الايام بانتظار عودة رئيس البلدية. لذلك قالت:

ـ اعتقد انك محقة في كلامك. فلن يحدث شيء قبل عودة رئيس البلدية... والافضل ان استفيد من هذه الايام.

اجابت السيدة كيندال وقد طفح وجهها بالسرور:

ـ هذا ضروري جدا. سنذهب الى المدينة غدا للتسوق ويمكننا تمضية بعد الظهر هناك.

ولم تستطع جانيت وهي في غرفة نومها ذلك المساء ان تخلد الى النوم عملا بنصيحة امها. فقد ظلت ساهرة تراقب الاضواء المتلألئة المشعة داخل الفيللا والعديد من الضيوف يتضاحكون ويتسامرون على اصوات الموسيقى الهادئة.

اقتربت من النافذة وحدقت في الظلام ناحية الاضواء العامرة. لا شك ان اصحاب الفيللا يلحون في طلب الممر بناء على نصيحة قانونية قدمها لهم المحامي المشهور... ووجدت جانيت خيالها يتصور بروس والبروك في هذه الحفلة الساهرة. ولم يزدها التفكير فيه الا رغبة في تحقيق انتصار باهر عليه.

٤ ـ لا تلمسي الزهور

كان من المفروض أن يغادر باص الركاب الى قرية ابيزا في تمام الساعة الثالثة. لذلك انتظرت السيدة كيندال وابنتها عند مفترق الطرق بحدود الساعة الثالثة والدقيقة العاشرة... لكن الباص كالعادة لم يصل إلاّ عند الساعة الثالثة والدقيقة العشرين.

توقف الباص عند المحطة مثيراً الغبار في ذلك الصيف اللاهب. لم يكن هناك أحد لفتح الباب، لذلك جاهدت السيدة كيندال التي باتت تعرف معظم العادات تقريباً كي تسحب مقبض الباب الجرار... وعندما انفتح اخيراً كادت قوة الدفعة أن تلقي السيدتين ارضاً.

اندمجت السيدة كيندال وجانيت وسط وجوه غريبة كانت تركب

الباص. ويظهر أن القرويين هنا لا يبدأون علاقات عابرة الاّ بعد التمعّن في الاشخاص الجدد.

وقد لقيت السيدة كيندال ترحيباً حاراً من الذين باتوا يعرفونها، أما جانيت الغريبة فقد باتت محطّ انظار الركاب كلهم.

اقلع الباص منطلقا بسرعة كبيرة وراح يجتاز المنحدرات والمنحنيات متوجهاً الى المدينة البعيدة. وشعرت جانيت بالخوف عندما أحست أن سرعة الباص جعلته يبدو في بعض الاحيان وكأنه يسير على عجلتين. لكن الهدوء والسكينة وعدم اللامبالاة المسيطرة على الركاب، ومن بينهم أمها، جعلتها تدرك أنها وحدها الخائفة من السرعة التي لم تتعوّد عليها في بريطانيا.

واخيراً وصل الباص الى المدينة القديمة في الوقت نفسه الذي بدأت فيه الحوانيت والمقاهي تعيد فتح أبوابها بعد قيلولة الظهر المعتادة.

تكونت لائحة مشتريات السيدة كيندال الأساسية من الاطعمة والخضار، لذلك راحت الام وابنتها تتجولان في أسواق السمك واللحوم والخضار والفاكهة، ثم انتقلتا الى سوبر ماركت كبير متفرع من الشارع الرئيسي.

وبعد أن اكتملت بضائع السيدة كيندال واشترت جانيت قبعة من القش ونظارات شمسية، توجهتا معاً الى أحد المقاهي لتناول بعض المرطبات التي جاءت في وقتها تماماً. ثم عادتا الى التجوال مجدداً. لكن هذه المرّة في سوق المنتوجات الشعبية المصنوعة من الجلد والخشب والخزف... بدون أن تشتريا أي شيء.

واخيراً قررتا الخلود الى فيء أحد مقاهي الرصيف بانتظار أن يحلّ موعد عودة الباص الى القرية. وعند أحد المنعطفات المؤدية الى الشارع الرئيسي تمهلتا في سيرهما لاختيار المقهى المناسب... وكانت السيدة كيندال الاولى في رؤية بروس والبروك وهو يعبر الشارع المقابل، فقالت:

ـ انظري هناك. انه صديقنا المحامي من الفيللا. ترى ما الذي يفعله في المدنية؟.

كانت جانيت قد لمحت بروس قبل أن تتكلم امها، لكن نظرها كان مركزاً على حقيبة بده وعلى البناء الذي خرج منه للتو... فهو بناء رسمي كما يدل العلم المرتفع أمامه، ويبدو شبيهاً بمبنى البلدية في القرية وان كان أكبر حجماً... وكأنها فوجئت بوجوده في ذلك المكان، فقد امسكت ذراع امها بقوة قائلة:

ـ أراهنك انه جاء لمقابلة مسؤولي المدينة حول الممر، ليرى ما اذا كان قادراً على تجاوز السلطات المحلية بدل الانتظار طيلة هذه الفترة.

لم تجب السيدة كيندال، لكن جانيت كانت تلوم نفسها بغضب صامت لانها لم تفكر بهذه الخطوة قبله. فتابعت تقول:

ـ هيا بنا.

قالت السيدة كيندال وهي تسير بفعل جذب ابنتها:

ـ لكن الى اين نذهب باعزيزتي؟.

ردّت جانيت وهي تحثّ الخطى شاخصة ببصرها الى حيث وقف بروس يحادث أحد الاشخاص:

ـ اذا كان قادراً على المحاولة... فنحن نقدر ايضاً.

اشتكت الأم بصوت متوسل:

ـ وهل من الضروري ذلك؟ انني متعبة وفمي متشقق من العطش!.

ـ سنتناول المرطبات عندما ننتهي، فانت تعرفين الاسبانية أفضل مني.

جذبت جانيت أمها عبر الساحة وهي تلاحظ أن بروس شاهدهما، وقبل أن تستطيع السيدة كيندال الرد على سلامه، كانت جانيت قد أدخلتها بسرعة الى المبنى الكبير.

الروتين الذي واجهته جانيت في هذه الدائرة كان مماثلاً لما واجهته في مبنى البلدية في القرية. والاختلاف الوحيد هنا، ان موظف الاستقبال ادخلها الى غرفة جانبية حيث استقبلها موظف آخر.

ولم تنفع الجمل القليلة التي تعرفها الام في ايجاد جوّ من التفاهم مع الموظف. واضطرّ الثلاثة الى استعمال لغة الاشارات ممتزجة بما يعرفه الرجل من اللغة الانكليزية وما تعرفه السيدتان من الاسبانية.

ويبدو أن موضوع الممر أثير من قبل مع الموظف نفسه، لذلك استطاع أن يوضح لجانيت وامها ان كل القضايا المحلية هي من اختصاص السلطات المحلية فقط، وعليها بالتالي متابعة مسألة الممر مع مسؤولي قرية سان غبرييل.

وحاولت جانيت أن تشرح له، بصعوبة طبعاً، أن رئيس بلدية القرية لن يعود قبل عشرة ايام... لكنه ابتسم بدون أن يجيب وكأن هذه الفترة بالنسبة اليه لا تعدو كونها عشر دقائق فقط. ثم ودعهما على الباب بابتسامة عريضة.

تركز اهتمام السيدة كيندال، عندما خرجت مع جانيت من المبنى، حول الحصول على شراب منعش وكرسي مريح في اقرب مقهى. ولم تنتبه جانيت الغارقة في افكارها الى أن المقهى الذي اختارته الآن كان مستقراً لبروس والرجل الذي معه. وقد فوجئت بوجوده هناك بحيث لم تعد قادرة على التراجع.

اقتربت السيدة كيندال مبتسمة، فهبّ بروس والرجل الآخر واقفين، ثم قال:

ـ هل تتفضلان بمشاركتنا هذه الجلسة؟.

كانت جانيت تريد أن تقول له انها تفضل الجلوس الى طاولة اخرى، لكن امها اسرعت تقول بحماس:

ـ هذا لطف شديد منك.

انضمت جانيت اليهم عابسة، في حين تولى بروس مهمة التعريف بالرجل الثاني، قائلاً:

ـ هذا زميلي المحامي فرانسيسكو كافا نيلاس.

مدّت جانيت يدها تصافح المحامي الاسباني الذي يبلغ السادسة والعشرين من العمر تقريباً.

سألهما بروس ماذا تشربان؟ فاختارت السيدة كيندال عصير التفاح بينما اختارت جانيت الكوكا كولا المثلجة. كانت قد خلعت النظارات الشمسية في داخل المبنى، أما الآن فهي تشعر بحاجتها اليها اتقاء للشمس الساطعة، وايضاً تهرباً من نظرات بروس المتمعنة... بالرغم من ان انتباهه كلّه كان مركزاً على الام التي أخذت تعدد مصاعب التسوق في هذه الايام.

فكرت جانيت ان الفرصة مناسبة الآن لدراسة شخصيته الخارجية عن كثب. وبعد أن تفحصت ملابسه الزرقاء التي تناسب لون عينيه الفولاذيتين، وجدت نفسها تخمن عمره... واخيراً اعتبرت أنه تجاوز الثلاثين من العمر، والا لما وصل الى هذا المركز المرموق في الحياة.

استدارت جانيت الى المحامي الاسباني الذي كان يحاول مدّ حديث معها... فانتهز الفرصة قائلاً بلغة انكليزية راقية لونتها لكنة اسبانية محببة:

- هل انت هنا منذ مدة طويلة؟

ابتسمت جانيت بلطف:

- ليس اكثر من يومين. وهل تعيش أنت هنا؟

هز رأسه موافقاً:

- انا من ابيزا، لكنني أعمل في مناطق اخرى ايضاً.

استمر الحديث لعدّة دقائق أخبرها خلالها عن مهمة المحامي وحياة طالب القانون وكيف أنه بدأ العمل في أحد المكاتب منذ بلغ الثالثة والعشرين من العمر. واخيراً قررت جانيت التلميح الى ضرورة الذهاب كي لا يفوتها الباص الاخير المتوجه الى القرية. وقفت وهي تحثّ امها على النهوض:

- هذه الاغراض ستتعبنا في الرحلة، ومن الافضل أن نتحرك الآن.

لم تُبد الام حماسة للنهوض. لكن بروس والبروك قال مؤكداً:

- ليس من الضروري أن تعودا الى سان غبرييل بالباص. فانا

وفرانسيسكو ذاهبان الى الفيللا قريباً، ويمكنكما أن ترافقانا في طريق العودة.

ارادت جانيت أن تعلم امها برغبتها في الرحيل، لكن ركلاتها من تحت الطاولة لم تقدم ولم تؤخر... بل عادت السيدة كيندال الى جلستها المريحة قائلة:

- طبعاً، هذا لطف منكما. وعلى كل لم انته بعد من كأس الشراب.

واضطرت جانيت الى الجلوس مجدداً. المهم أن فرانسيسكو محدّث لبق، وهي لن تهتم ببروس على الاطلاق.

واخيراً انتهى شراب السيدة كيندال، فنهض الجميع مغادرين بعد أن دفع بروس فاتورة الحساب، وقادهم الى حيث أوقف سيارته في شارع فرعي مجاور.

جلست السيدة كيندال في المقعد الامامي الى جانب بروس، في حين احتلت جانيت وفرانسيسكو المقعد الخلفي.

وما أن خرجت السيارة المكشوفة من حدود المدينة، حتى أدركت جانيت أن النزهة ممتعة فعلاً. فقد اختفت زحمة السير، وامتزجت الحقول الخضراء بالشواطىء الرملية الممتدة الى ما لانهاية. وطيلة الطريق لم تتوقف السيدة كيندال عن الحديث كعادتها. وبدا لجانيت أن بروس يتمتع بحديث امها، اذ لاحظت أنه كان يلتفت من وقت لآخر متابعاً حديث السيدة كيندال بابتسامة عريضة.

ومع أنها احبت النزهة كثيراً، إلا أنها شعرت بالارتياح الطاغي عندما لاحت القرية في آخر الطريق، وانعطف بروس بسيارته شمالاً عبر الطريق الزراعي المؤدي الى الفيللا والبيت. لم تتوقف السيارة أمام الفيللا، بل عبرتها حتى وصلت الى الباب الخلفي للبيت... حيث نزلت السيدة كيندال وهي تضحك وتشكر بروس على الرحلة الجميلة.

ترجلت جانيت من السيارة معتمدة على ذراع فرانسيسكو الذي انحنى بلطف وقبّل يد الام ثم يد الابنة مودعاً. أما بروس فقد دسّ

مفاتيح السيارة في جيب سترته وغادرهما قائلا:

- اتمنى لكما نهاراً سعيداً.

ردّت السيدة كيندال بحماسة:

- ولك ايضا.

سارت الام والابنة باغراضهما داخل الحديقة، وما أن وصلتا الى الباب الخلفي حتى قالت الام:

- يا له من رجل جذاب.

صرخت جانيت باستنكار شديد:

- امي انه عدونا اللدود.

نظرت الام بهدوء قائلة:

- اعرف يا عزيزتي، ومع ذلك فهو رجل جذاب وساحر.

وما ان فتحتا الباب حتى اندفع دال الى الخارج قافزاً بين الاغراض والاقدام، ثم انطلق في الحقول بعد سجن استمر عدّة ساعات. وضعت جانيت الاغراض في المطبخ، وألقت نظرة سريعة على الرجلين اللذين اختفيا للتو في الفيللا... قد يكون بروس والبروك قد اثر على امها الى حدّ ما، لكنه لن يخدع جانيت ابداً.

طيلة اليومين التاليين لم تلحظ أي نشاط في ما يتعلق بالممر، باستثناء وصول شاحنة صغيرة تحمل بعض النباتات للسيدة كيندال. ولكن في اليوم الثالث، وبينما كانت تحاول اصلاح ماكينة الخياطة الموضوعة في الكوخ، لمحت شخصاً طويل القامة يغادر البيت. لم تكن متأكدة من هويته، لكنه عندما دخل بوابة الفيللا تبين انه فرانسيسكو كافا نيلاس.

استنفرت جانيت كل قوتها واسرعت عائدة الى البيت وهي تفكر في أسباب الزيارة.

فوجدت أمها تجهز أدوات الشاي في الباحة الخلفية كعادتها كل يوم في مثل هذا الوقت.

قالت وهي تجلس في كرسيها:

- هل شاهدت زائراً في بيتنا قبل قليل.

- اجل، انه المحامي الاسباني اللطيف الذي التقيناه في المدينة قبل يومين.

لم ترفع السيدة كيندال عينيها عن الصينية وعلبة البسكويت... لكن من الواضح أن لديها الكثير من الانباء. وانتظرت جانيت، حتى كشفت الام عن كامل التفاصيل.

قالت السيدة كيندال:

- أصحاب الفيللا، آل فورد، دعونا لقضاء بعد ظهر الغد معهم. وهم يقولون ان الجيرة الحسنة ضرورية. والواضح أن الدعوة موجهة الى عدد من الاصدقاء أيضاً.

احست جانيت وكأن شلال ماء بارداً صبّ عليها فجأة وهي تستمع الى كلام امها.

هل تدخل الى معسكر الاعداء؟ مجرد التفكير بالأمر يجعلها تشمئز وتنفر. انها لا تستطيع تصور أي فائدة من لقاء أصحاب الفيللا، وفي الوقت نفسه سيبدو موقفهما ضعيفاً ومهتزاً اذا ما رفضتا قبول الدعوة. اتخذت الام موقفاً مماثلاً لموقف الابنة، ولكن لأسباب مختلفة. قالت وهي تصب الشاي في الكوبين:

- سارتدي فستاني المصنوع من الحرير الدمشقي الذي لم تتح لي المناسبة بعد كي ارتديه. طيلة السنة لا نجري الا حفلة واحدة تقيمها جمعية السكان الاجانب... وهي تقام على شاطىء البحر. دائما كنت اتمنى السهر في الفيللا، ولا بأس من أن يلامس الفرو المخبأ في الخزانة منذ سنوات كتفي في هذه السهرة.

ومع أن جانيت متأكدة من أن موقف امها ليس سلبيا، الا أنها عاجزة عن فعل أي شيء لتغييره. وهكذا وجدت نفسها في اليوم التالي تتزين تمهيدا للدعوة. وقررت ان لا تبالغ في التجميل. بل اختارت ثوباً عادياً بلون اخضر فاتح مزين بعدة ورود بيضاء. ثم اكتفت بلمسات خفيفة من الماكياج، وتركت شعرها البني ينسدل

بحرية على كتفيها. . . واخيرا انتعلت صندلاً أبيض وتوجهت لترى كيف استعدت امها. لم تكن السيدة كيندال جاهزة فحسب، بل هي على أحرّ من الجمر للذهاب الى الفيللا. وما أن رأت جانيت حتى ابلغتها ان السيارات بدأت تصل منذ عشرين دقيقة، وألحّت عليها بالسير فوراً. راقبت جانيت السيارات الفاخرة التي توقفت أمام الفيللا، وراحت تشرح بصبر واناة الحكمة من الانتظار حتى تكون الحفلة قد اكتملت.

بعد الثالثة بقليل تحركت جانيت والسيدة كيندال الى الباب الرئيسي.

وهناك اعترضهما الكلب دال الذي راح يدور قرب الباب وذيله لا يكف عن الحراك وكأنه يعبر عن انزعاجه لانها ستتركانه وحيداً في البيت. ربتت السيدة كيندال على رأس الكلب وكأنها ترفّه عنه، ثم غادرتا معاً بعد احكام اغلاق الباب وقطعتا الطريق الفاصل بين البيت والفيللا في لحظات قليلة.

لاحظت جانيت اولاً أن السيارات بمعظمها كانت فاخرة وغالية الثمن ولا يمكن أن يمتلكها إلاّ أصحاب الثروات والمناصب. كان الباب الخارجي مفتوحا. والشمس الساطعة تنعكس على السلم الرخامي الذي تسلقته جانيت وامها وصولاً الى الحديقة الخلفية حيث كان الحضور مجتمعين.

وما أن اجتازتا نهاية السلم الرخامي حتى التقتا بأحد الخدم وهو يحمل مجموعة من الاقداح والمرطبات المنعشة. حيّاهما الخادم بابتسامة مؤدبة، ثم دلّهما الى مصدر الاصوات والضحكات التي كانت تملأ المكان.

سارت جانيت وأمها في الاتجاه الذي أشار اليه الخادم فعبرتا الجهة اليمنى نحو الحدائق التي تمتد الى الطريق الزراعي. ولفت نظر جانيت على الفور حوض السباحة المصنوع من البلاط الازرق الصافي، والذي اتخذ شكلاً بيضاوياً. على أحد طرفي الحوض

توزعت مقاعد سباحة مريحة، بينما اصطفت على الطرف الآخر طاولات ازدحمت بانواع الطعام المختلفة.

انتبهت جانيت الى أن الجو العام لم يكن ذا طابع رسمي. فالناس موزعون جماعات وافراداً حول الحوض وفي الحديقة الملحقة به.

وحتى السيد فورد كان طبيعيا عندما نهض من كرسيه لاستقبال السيدة كيندال وابنتها، ثم نادى زوجته قائلا :

ـ ايماليتا، تعالي استقبلي ضيوفك.

كان رالف فورد يرتدي ثوباً حريرياً يظهر امتلاء جسمه وطول قامته. ومع ان عينيه تبدوان حادتي النظر للوهلة الاولى، الا أنه صاحب وجه طيب تحت شعر رمادي دلّ على الخمسين سنة التي عاشها.

وضع رالف فورد ذراعاً في يد كل من جانيت والسيدة كيندال وقادهما الى احدى الطاولات عارضاً عليهما الطعام والشراب. وما هي إلاّ لحظات حتى انضمت اليه السيدة فورد التي كانت مشغولة مع ضيوفها في مكان آخر. صافحت السيدة فورد جانيت وأمها وهي ترحب بهما بحرارة. . . لكن جانيت لاحظت أن فكر ايماليتا بالرغم من تعابيرها المرحبة، كان يحلّق في اجواء مختلفة تماماً. واصل السيد فورد عملية تقديم السيدة كيندال وابنتها الى الضيوف الذين كانوا بالقرب منهم، ولم تستطع جانيت أن تستوعب كل الاسماء التي قيلت أمامها. التقت اناساً عديدين منهم رجل طويل القامة شعره طويل مسدل، وآخر معتدل البنية يبرز في وجهه شاربان كثيفان واقتربت منها امرأة غريبة وصافحتها مبتسمة، ولمحت ابتسامات لطيفة على وجوه عدد من النسوة. . . بحيث لم تمض دقائق حتى كانت قد اندمجت مع المجموعة بشكل طبيعي.

كانت الام قد استغرقت في حديث لا ينتهي مع شخص ما. وتركها السيد والسيدة فورد بعد أن أكدت السيدة فورد قائلة:

ـ يمكنك ان تأتي الى حوض السباحة في أي وقت تشائين. أرجوا أن

تتصرفي على راحتك، فالبيت والحدائق ملك لك.
شكرتها جانيت بلطف وهي ترتشف شرابها المنعش. شعرت بالارتياح لأن أحداً لم يشر خلال الوقت الذي مرّ الى موضوع الممر.
احتارت جانيت بما تفعل بعد أن أنهت كأسها بالقرب من احد الطاولات.
كانت ترى فرانسيسكو مع اشخاص آخرين عند الطرف الآخر من الحوض، وتمنت أن تشاركه الحديث لما لمسته فيه قبل يومين من طباع حسنة... لكنها كانت تشعر بالحرج في أن تسير وحيدة. واخيرا تسللت بهدوء الى الجانب الخلفي، فوصلت الى الحديقة الصغيرة التي تمر بمحاذاة بيت امها عند الممر. وهناك لمحت غرفة ملحقة بالفيللا ذات نوافذ مشرعة ولما لم تشاهد احداً، قطعت الممر الضيق ودخلت اليها لالقاء نظرة سريعة. ورويداً، رويداً وجدت نفسها تتنقل من غرفة الى اخرى الى أن وصلت احدى القاعات الكبيرة المزينة بالرسوم واللوحات والتماثيل من مختلف الاحجام.
في احدى الزوايا، انتصب تمثال بالحجم الطبيعي لرجل ذي شارب كثيف وابتسامة عريضة، ويد ممتدة تحمل منشفة مستطيلة الشكل. وقفت جانيت تتأمل هذا التمثال وهي تتساءل عن معنى اليد والمنشفة... وفجأة جاءها صوت عميق بارد من مكان ما خلفها:
ـ التمثال يعود الى بداية القرن الثامن عشر ونحت في فرنسا.
استدارت جانيت بسرعة لتجد بورس والبروك واقفاً خلفها وهو يحمل مجموعة من الاوراق كان في طريقه الى ايداعها في المكتبة المجاورة. فاضطربت بشدة لأنها شعرت أنه اعتقلها بالجرم المشهود، بالرغم من محاولتها اقناع نفسها بان السيدة فورد سمحت لها بالتجول في أروقة الفيللا والحدائق الملحقة بها.
استجمعت جانيت قوتها وواجهت عيني بروس الفولاذيتين وهي تقول:

ـ كنت انتهز فرصة وجودي هنا لمشاهدة الفيللا... انها رائعة جدا كما تخيلتها تماما.
وادهشها جوابه الهادىء عندما قال:
ـ ستشاهدين معالمها أفضل اذا ما رافقك احد. فما رأيك أن ارافقك شخصياً بعد أن اتخلص من هذه الرسائل؟.
لم يكن بوسع جانيت الرفض، بل وقفت تنتظر بهدوء. الى أن وضع بروس الرسائل في المكتبة المجاورة. وعندما اقترح عليها البدء في الغرف الداخلية، اضطرت للكذب قائلة بأنها شاهدت معظم الغرف وكانت في طريقها الى الحدائق عندما التقاها في القاعة الكبيرة. واستغربت كيف أن انفاسها عادت اليها عندما خرجا الى الهواء الطلق.
رافقها بروس عبر القاعة الى الممر العشبي المؤدي الى الحدائق. وعلى طول الطريق كانت اشجار النخيل والبرتقال والتفاح تحف بهما من الجانبين. وسرعان ما انطلق نظر جانيت يتأمل تمازج الالوان التي تعطيها أشجار الفاكهة المتنوعة من خلال ثمار الزيتون والبلح والبرتقال والتفاح وغيرها. وغرقت جانيت في هذه الجنة الساحرة، بحيث فوجئت عندما خاطبها بروس قائلاً:
ـ لا تلمسيها، فهذه الزهرة تحتوي على أشواك خفية تسبب آلاماً لمن يلمسها.
وبدون تردد انحنى للحظات ثم انتصب حاملاً مجموعة من الأزهار، قدمها لها قائلا:
ـ هاك الزهور، يمكنك تأملها كما تشتهين الآن.
كانت جانيت على وشك أن تأخذ الزهور شاكرة ثم تستدير عائدة الى الحفلة، لكنّ عينيه الفولاذيتين التقتا عينيها. فتسمرا في مكانها للحظات.
واستغربت جانيت كيف أن عينيه الحادتين يمكن أن تصبحا خارج نطاق العمل عينين يعشعش الصيف فيهما بدفء وحنان.

استأنفا السير مجدداً وقد سقطت من بينهما مجموعة من الحواجز والرسميات.
قال لها بهدوء:
ـ اعتقد انك التقيت السيد والسيدة فورد.
هزت رأسها بالايجاب قائلة:
ـ اجل. يبدو انهما معروفان على صعيد واسع في الجزيرة.
وكعادة كل المحامين، تمهل بروس قبل أن يقول باسلوب عملي واضح:
ـ اذن انت توافقين على ضرورة حصولهم على الممر؟.
فوجئت جانيت بسؤاله، لكنها تمالكت نفسها وردت على الفور:
ـ اذا كنت تقصد حصولهم على الممر اضافة الى كل هذه الحدائق بينما امي لا تملك الاّ تلك الساحة الصغيرة، فطبعاً أنا لا أوافق. ولا اعتقد أن هناك اكثر ظلماً من هذا المنطق.
اجابها بهدوء بارد:
ـ انت تبالغين في كلامك. فأمك تستطيع شق ممر خاص بها يصل الطريق الزراعي بواجهة البيت.
قالت جانيت بغضب:
ـ لست أرى سبباً يدفعها الى هذه الخطوة ما دامت قد اشترت البيت مع الممر!
صحح بروس معلوماتها بلهجة قانونية قائلاً:
ـ لقد اشترت البيت، أما الممر فما زال معروضاً للبيع.
واجهته جانيت بقسوة:
ـ لم يكن معروضاً للبيع قبل مجيء السيد والسيدة فورد. فكل الناس هنا كانوا يعتبرون الممر جزءاً من بيت أمي.
قال لها بهدوء وهو يأخذ ذراعها بيده:
ـ هذه ليست الطريقة القانونية الصحيحة يا آنسة كيندال. ففي ما يتعلق بنا، نحن نرى أن هذه القطعة مطروحة للبيع حالياً.

قالت جانيت وهي تدرك أن القانون سيقف الى جانب امها التي امضت السنتين الماضيتين تستعمل الممر في حين لم يصل السيد والسيدة فورد إلاّ مؤخراً:
ـ أما ما يتعلق بي شخصياً، فمهمتي تقتصر فقط على وضع اسم امي على اوراق التمليك الرسمية.
ابتسم بروس والبروك بهدوء وهو يقودها عائداً الى البيت.

٥ـ هدنة مؤقتة!

على عتبة السلم الرخامي المؤدي من الحديقة الى البيت، لمحت جانيت وبروس السيدة كيندال وهي خارجة من احدى القاعات برفقة فرانسيسكو. وما ان شاهدت السيدة كيندال ابنتها حتى هتفت قائلة:

ـ ها انت اخيرا. لقد أخذني فرانسيسكو في جولة داخل الفيللا... انها رائعة حقا.

اقترب فرانسيسكو مسلما وخاطب جانيت قائلا:

ـ اين كنت مختفية طيلة هذا الوقت؟

تدخل بروس في الحديث بلهجة جافة:

ـ من الافضل ان ننضم الى المجموعة قرب الحوض.

كانت المجموعات قد تفرقت في كل اتجاه حول الطاولات العامرة بالطعام والشراب وقفت جانيت في احدى الزوايا بانتظار فرانسيسكو الذي ذهب ليحضر لها مرطبا منعشا وبعض الطعام. كان يبدو عليه عدم الخجل بعكس اللقاء قبل يومين. اخبرها انه قرر السباحة، لكنه عدل عن رأيه لان مياه الحوض باردة اكثر من اللزوم. واخبرها ايضا انه من هواة السباحة اليومية في البحر حتى خلال فصل الشتاء، وانها مياه دافئة اكثر من مياه الحوض.

استمعت جانيت الى احاديث فرانسيسكو وابتسامة عريضة تحتل شفتيها، لكنها لم تستطع الا ان تركز اهتمامها حيث وقف بروس والبروك يتحدث الى امها. واستغربت كيف ان مظهره يتغير تماما عندما يكون مرتاحا في تصرفاته. فالثوب الحريري الذي يرتديه يظهره نحيفا بشكل غير عادي... وهي تعرف تمام المعرفة من خلال لمسته العابرة في الحديقة ان اعصابه مقدودة من فولاذ.

وعند حوالى الساعة الخامسة بدأ الحضور في الانصراف تباعا. فانتهزت جانيت الفرصة وانتزعت امها بصعوبة من وسط الدائرة التي كانت هي محورها، ثم غادرتا الفيللا بصحبة بروس وفرانسيسكو اللذين اوصلاهما حتى الباب الخارجي.

علا عواء الكلب دال عندما وصلتا الى البيت وطغى على اصوات محركات السيارات التي كانت تقل ضيوف الفيللا. وفي الداخل اندفع نحوهما وكأنهما غابتا يومين كاملين وليس ساعتين فقط. احتضنته السيدة كيندال بحنان وحب، لكن فكرها كان ما زال في تلك الحفلة الرائعة. قالت وهي تمسح على رأسه:

ـ كانت حفلة ممتازة حقا. لقد سررت كثيرا للقاء جيراننا، أليس هذا شعورك ايضا يا جانيت؟

هزت جانيت رأسها موافقة، وقد وجدت صعوبة في الاعتراف بان السيد والسيدة فورد كانا مضيفين ممتازين.

تابعت السيدة كيندال تقول وهي تنتزع العقد من عنقها:

- والمحاميان لطيفان ايضا!

ردت جانيت بدون ان ترفع عينيها عن الزهور التي قدمها لها بروس:

- اعتقد ان فرانسيسكو كافانيلاس لطيف جداً.

اجابت الام مبتسمة:

- وكذلك السيد والبروك يا عزيزتي . . . فقط، يجب انْ تتعرفي اليه اكثر.

سارت جانيت نحو مزهرية قريبة لوضع الزهور فيها. . . وفجأة وجدت نفسها تطرح سؤالا غريبا:

- هل هو متزوج في انكلترا؟

- ليس على حد علمي. يظهر انه كان مشغولا عن الزواج ببناء شهرته العريضة في عالم المحاماة.

استبدلت السيدة كيندال فستان السهرة بقميص النوم المريح، ثم سألت ابنتها قائلة:

- لماذا تسألين يا عزيزتي؟ لقد لاحظت انكما ذهبتما في جولة طويلة الى الحدائق والبساتين!

وادركت جانيت على الفور ان امها تراقبها من طرف خفي، لذلك وضعت الزهور من يدها بسرعة، ثم التفتت اليها متظاهرة بالتعب والاستغراب وهي تقول:

- لا تكوني ساخرة هكذا يا امي.

وبدون ان تنتظر جوابا، تجاهلت ابتسامة امها ذات المعاني وأسرعت عائدة الى غرفة نومها.

ويوماً بعد يوم، غرقت جانيت في حياة الجزيرة الهانئة بانتظار عودة رئيس البلدية من رحلته الى المدينة، خاصة انّ امها لم تدعها تقوم بالاعمال العادية التي هي من اختصاصها وحدها. وقد اكتفت جانيت بالحفاظ على ترتيب ونظافة غرفة نومها، وفي بعض المرات غسل الثياب التي تكون قد تجمعت في الحمام. . . اما باقي الوقت

فقدَ امضته خارج البيت حيث الشمس الدافئة تلون كل شيء باشعتها الذهبية الساطعة، ويرفقتها الكلب دال والقطة تويجي التي تجمع بين حركات الهريرة الصغيرة ومتطلبات القطة الكبيرة. وكم تمتعت جانيت بالمعارك السلمية التي كانت تدور بين القطة والكلب بدون ان تصل الى مرحلة الجدية والاذى وفي كثير من الاحيان كانت توفر على امها مهمة اخذ دال في نزهته اليومية المعتادة، عبر الحقول الخضراء المترامية في كل اتجاه.

وفي مثل هذا الجو الساحر والراحة التي لا تشوبها شائبة، باتت جانيت تخشى ان تصبح فريسة للمناخ المتوسطي الموحي بالدعة والسكينة. ومع كل يوم مشمس جميل، كانت تزداد قناعة ان ابيزا تملك سحرا لا يقاوم وتأثيرا كبيرا على الذين يعيشون فيها. واخيرا حل موعد رئيس البلدية، لكن لسوء الحظ كان اليوم السبت، ولا عمل في الدوائر الرسمية الاسبانية حتى يوم الاثنين.

صباح الاثنين هبت جانيت من فراشها بحيوية ونشاط وكأنها تتأهب لجولة جديدة من معركة طويلة قاسية. وعلى مائدة الافطار، حدثت امها عن رحلتها الى القرية. وكأنها ذاهبة للتبضع وليس لمقابلة رئيس البلدية في امر مهم وعاجل سيقرر مصير الممر. ولم تكن جانيت لتغضب من مواقف امها، خاصة انها تدرك رغبتها في تمضية بقية حياتها بعيدا عن المشاكل والمنغصات.

بعد انهاء كوب القهوة الثاني، اغتسلت جانيت وارتدت فستانا ربيعيا مريحا. . . ولم تنس طبعا قبعة القش والنظارة الشمسية قبل ان تأخذ الدراجة الهوائية وتنطلق في رحلتها الطويلة. وعندما وصلت الى محاذاة الفيلا، تمهلت قليلا لالقاء نظرة خاطفة الى الباحة حيث تتوقف السيارات. ولارتياحها الشديد وجدت ان سيارة بروس والبروك ما زالت في مكانها. وعلى الفور اجتاحتها رغبة في الانطلاق باقصى سرعة كي تلتقي رئيس البلدية قبل بروس، ولكنها كانت تريد في الوقت نفسه ان تتمتع برحلتها فتصل الى اللقاء

مرتاحة ومستعدة لكل الاحتمالات.

ولم تكن جانيت مضطرة للاختيار، فقد اجبرتها الشمس الحادة على الانطلاق بسرعة معتدلة خاصة ان الغبار بات يهدد منظرها وثيابها. وعندما وصلت الى سفح التلة التي تقوم عليها القرية، تركت الدراجة في المكان نفسه حيث تركتها المرة السابقة وراحت تصعد الطريق الضيق تحت الشمس التي ازدادت سطوعا وحرارة. وفي منتصف الطريق عثرت على سبيل ماء فاتتها رؤيته في الرحلة الماضية، لذلك انتهزت الفرصة لترطيب وجهها وعنقها وذراعيها وواصلت سيرها وهي تشعر بالانتعاش المتجدد.

كانت القرية مهجورة كعادتها في مثل هذا الوقت، لكن روائح الطهي المنبعثة من عدة اماكن كانت تؤكد ان الحياة تجري طبيعية خلف الجدران البيضاء الصامتة. اجتازت جانيت الساحة العامة وتمهلت قبل ان تدخل مبنى البلدية الواسع.

التقت في قاعة الاستقبال الموظف نفسه الذي التقته في المرة الاولى. حيّاها الموظف بلطف وكأنه عرفها على الفور، لكنها اضطرت الى تذكيره بالممر ورئيس البلدية قبل ان يهتف قائلا بالاسبانية:

ـ آه رئيس البلدية... في المدرسة.

وعندما استغربت جانيت علاقة المدرسة برئاسة البلدية، تابع الموظف شرحه قائلا:

ـ البروفسورة هناك.

اذن رئيس البلدية هو الاستاذ ايضا. وما ان استدارت ذاهبة الى المدرسة حتى تذكرت ان كلمة البروفسورة تعني الاستاذة وليس الاستاذ، فعادت على الفور تستفسر من الموظف عن اسم رئيس البلدية... فقال لها:

ـ السينيورة كاسيلا غارسيا!

شكرت جانيت الموظف وغادرت المبنى متجهة الى المدرسة. لم يخطر في بالها ان يكون رئيس البلدية امرأة. لكن ما الفرق في ان

يكون رجلا او امرأة، بالنسبة الى انهاء مشكلة الممر.

اجتازت عدة شوارع خالية قبل ان تصل الى ما بدا لها انه المدرسة حسب وصف الموظف. وكي تتأكد من ذلك اوقفت فتاة صغيرة وسألتها فاجابت الطفلة بالايجاب وهي تهرب خجلا، عند السلم الحجري الناصع البياض. التفت مجموعة من الاولاد بازيائهم الرسمية. اخذ هؤلاء يتصايحون ويقفزون حولها وقد استغربوا وجودها. ويبدو ان المعلمة سمعت جلبتهم فخرجت تستطلع الأمر، فاذا بها وجها لوجه مع جانيت.

سألتها جانيت:

ـ السيدة غارسيا؟

اجابت المعلمة بابتسامة عريضة:

ـ نعم.

رحبت بها بحرارة وقادتها عبر احدى قاعات الدرس الخاصة بالمقاعد والطاولات والكتب التي تركها الاولاد على جوانب المقاعد، الى قاعة اخرى مرتبة ونظيفة للغاية.

وما ان سحبت السيدة غارسيا كرسيين لها ولجانيت، حتى دخلت مجموعة من الاولاود واتجهوا الى المغسلة المجاورة بحجة تنظيف ايديهم.

استعدت جانيت لعرض قصتها على رئيسة البلدية، ولكن ليس شفهيا. فقد عمدت طيلة العشرة ايام الماضية الى استنفار كل ما اتقنته من الاسبانية وكتبت رسالة مطولة تعرض فيها مشكلة الممر من اولها الى آخرها، مستعينة بكتاب لتعليم الاسبانية وايضا بما تعرفه امها من هذه اللغة الصعبة.

تناولت السيدة غارسيا الاوراق واخذت تقرأها بتمعن، في حين راحت جانيت تتفحص رئيسة البلدية بانتظار حصولها على جواب شاف. كانت السيدة غارسيا جذابة للغاية بشعرها الاسود الفاحم المنسدل على كتفيها، وترتدي فستانا ازرق يكشف عن ذراعين

سمراوين ممتلئين. وقد تزينت بعقد من الذهب وخاتمين ماسيين، بالاضافة الى ساعة يد ذهبية.

وبين الحين والآخر، كانت السيدة غارسيا تبتسم لنفسها. وفكرت جانيت انها تضحك على اسلوبها في كتابة الرسالة باللغة الاسبانية... لا بأس في ذلك ما دام مضمون الرسالة واضحاً ومفهوماً. وفي النهاية رفعت رئيسة البلدية رأسها قائلة:

ـ فهمت المشكلة.

وانتظرت جانيت بفارغ الصبر جواب رئيسة البلدية. ولكنها لم تفهم شيئا على الاطلاق عندما راحت السيدة غارسيا تتكلم وتشرح بلغة اسبانية سريعة، بحيث احست جانيت بانها تغرق في خضم لا قرار له. واحاطت الجمل والعبارات المتسارعة بجانيت بدون ان تكون قادرة على الوقوف في سبيلها... ولم تستطع بعد جهد جهيد الا الاعتذار قائلة:

ـ انا آسفة... لم افهم شيئا.

فوجئت السيدة غارسيا بجواب جانيت، لكنها استدركت وهي تنهض قائلة:

ـ لم تفهمي؟ لحظة فقط.

نادت السيدة غارسيا باحد الاسماء وسرعان ما اطلت فتاة صغيرة من الغرفة المجاورة. تبادلت المعلمة وتلميذتها حديثا سريعا باللغة الاسبانية، ثم التفتت الى جانيت شارحة لها ان شقيق الفتاة الصغير يعمل موظف استقبال في احد الفنادق وهو يتقن اللغة الانكليزية، ولذلك من الافضل ان تذهب جانيت وتحضره من بيته الرقم ٤٦ في الشارع المجاور كي يساعد في الترجمة بين الطرفين.

شكرت جانيت المعلمة وابتسمت بلطف للفتاة الصغيرة ثم غادرت المدرسة متوجهة الى البيت رقم ٤٦. قطعت ساحة اللعب وهي تفكر بأن وجود مترجم سيساعد كثيرا على بت المشكلة بسرعة. دخلت الى الشارع المقصود، فاكتشفت من ارقام البيوت انه كان من

الافضل لها ان تبدأ من الجهة الاخرى. لكن الامر ليس مهما الآن، فالمطلوب الوصول الى البيت والتعرف الى بارتولومي وهو اسم الموظف، واحضاره الى المدرسة للتفاهم مع رئيسة البلدية.

وتبين لجانيت عندما وصلت الى نهاية الشارع، ان بيت بارتولومي عبارة عن مزرعة واسعة تحتل احد التلال المتناثرة حول القرية. قطعت البساتين المحيطة بالبيت، واقتربت من الباب الرئيسي فاذا بها تلمح امرأة بثياب سوداء خرجت لتوها من غرفة مجاورة. سألتها جانيت عن بارتولومي، فكان الجواب صرخة اطلقتها السيدة ناحية المنزل، ثم عادت من حيث اتت.

انتظرت جانيت امام الباب للحظات قبل ان يطل عليها شاب قد لف حول خصره منشفة تستعمل لحماية الثياب عند الجلي او الغسيل. ابتسم الشاب الذي لم يتجاوز التاسعة عشرة من العمر بلطف فانكشفت اسنانه عن فراغ نتيجة كسر اصاب احداها.

سألته جانيت مبتسمة.

ـ هل انت بارتولومي؟

ردّ قائلا:

ـ اجل، وهم يطلقون عليّ لقب تولو!

شرحت له جانيت سبب زيارتها، وسألته اذا كان يوافق على ان يقوم بدور المترجم بينها وبين رئيسة البلدية.

قال لها:

ـ طبعا، لحظات فقط وأنتهي من ارتداء ملابسي. تفضلي واستريحي في الداخل.

انتظر بارتولومي حتى دخلت جانيت احدى الغرف العادية، ثم ذهب الى غرفته لارتداء ملابسه وهو يردّد اغنية اسبانية معروفة. وكم تمنت جانيت لو انه يسرع في الذهاب معها، فقد مضى وقت غير قليل على مغادرتها المدرسة. ولكن لا فائدة مع هذا الشاب، لذلك بحثت عن مقعد في الغرفة العارية التي تضم طاولة مستديرة الشكل

مغطاة بستار احمر وحولها ثلاثة كراسي. بعد قليل بدأت تشعر بالضيق لهذا الانتظار غير المتوقع. وفوجئت ببارتولومي يعود ولم يكن قد غير سوى قميصه الصيفي. قال لها انه جاهز لمرافقتها الى المدرسة، ثم وجه عبارات مختصرة بالاسبانية الى اشخاص مجهولين يعملون في المطبخ.

وعند السلم الحجري استمهل بارتولومي جانيت للحظات، واختفى خلف البيت. وما هي الا لحظات قليلة حتى سمعت صوت محرك سيارة مهلهلة يقودها بارتولومي، الذي ترجل امامها ليفتح لها الباب بكل فخر وكبرياء.

واضطرت جانيت الى حبس انفاسها طيلة الطريق بفعل الاسلوب المجنون السريع الذي استعمله بارتولومي في قيادة السيارة. فقط عندما توقفت العربة امام المدرسة، استطاعت جانيت استجماع انفاسها لتقول:

ـ لغتك الانكليزية ممتازة يا تولو!

هز كتفيه بلا مبالاة وهو يقول:

ـ ليست جيدة كما ينبغي. في الصيف اتعلم الكثير من المفردات... لكنها تختفي بمعظمها عندما يحل فصل الشتاء!

وكانت جانيت على وشك ان تطرح سؤالا اخر على بارتولومي، عندما لاحظت وجود مدخل آخر للمدرسة ربما الذي يستعمله الاساتذة فقط... والسبب الذي لفت نظرها هو وجود السيارة الزرقاء التي تعرف صاحبها تماما. خفق قلبها بشدة لهذه المفاجأة، مع انها كانت تتوقع مجيئه في اية لحظة. وتساءلت عن الوقت الذي امضاه هناك... وحثت خطاها مسرعة بدون ان تغيب البسمة عن شفتيها وهي تستمع الى احاديث بارتولومي.

في الداخل، كان احد التلامذة يشرف على قاعة الصف التي غابت عنها المدرسة. سارت جانيت بخطى واثقة نحو غرفة الطعام وهي مدركة ان بروس والبورك موجود هناك. وفي تلك اللحظات لم

تكن لتهتم بما اذا كان المفروض فيها ان تدخل الخلوة ام لا.

لمحته جالسا قبالة رئيسة البلدية وقد غرق معها في حديث طويل. وعندما شاهدها لم تتراجع. انه مخطىء اذا كان يعتقد انها ستضطرب وترتد على عقبيها لمجرد وجوده في هذا المكان. ومهما كان الامر، فقد جاءت قبله وستستمر حتى ولو كان حاضرا.

وقفت جانيت وبارتولومي في الممر المؤدي الى غرفة الطعام. وفي حين انشغل تولو بملاعبة اخته في الصف بالاشارة من بعيد، ركزت جانيت اهتمامها على رئيسة البلدية وبروس الذي كان يتحدث الاسبانية بارتياح وطلاقة. واحست بكراهية شديدة تجاهه عندما احست انه سحر السيدة غارسيا بشخصيته وتصرفاته المدروسة.

ولم تكن السيدة مهتمة بوجود جانيت وتولو قرب الباب، فكل تركيزها كان منصبا على ذلك الرجل الانكليزي الجالس قبالتها بكل اعتداد وكبرياء.

واخيرا انتهت المحادثات، عندما نهض بروس مصافحا رئيسة البلدية باحترام ولطف، فردت عليه بابتسامة عريضة. وهنا اشارت السيدة غارسيا الى جانيت وتولو داعية اياهما الى الدخول بدون ان تبدي حرجا لانها كانت تستقبل العدو اللدود قبل لحظات.

وجه بروس تحية مؤدبة الى جانيت عندما مر بها عند الباب. لكن جانيت تجاهلته واسرعت هي وتولو الى اتخاذ مقعدين قرب الطاولة التي كان بروس يحتلها قبل قليل. وما ان استقر المقام بالثلاثة حتى طلبت جانيت من تولو ان يشرح للسيدة غارسيا بالتفصيل مشكلة الممر، آخذة بعين الاعتبار ان بروس بلا شك عرض موقف اصحاب الفيللا من هذه المسألة.

طيلة الوقت كانت رئيسة البلدية تهز رأسها موافقة في حين استمر تولو في عرض المسألة بلغته الاسبانية السريعة. وانتظرت جانيت على احر من الجمر جواب السيدة غارسيا التي اخذت تتحدث الآن، بينما يقوم تولو بالترجمة الفورية، كل نقطة وحدها. قال:

- السيدة غارسيا تتفهم المشكلة. فهناك عديدون يريدون شراء اجزاء من الممر بالقرب من بيوتهم. وقد ناقش مجلس البلدية هذا الوضع وقرر ان لا صلاحية لديه للتعاطي فيه.

قاطعته جانيت بسرعة:

- لكنني اعتقدت ان السلطات المحلية هي صاحبة القرار؟

وضع تولو السؤال بالاسبانية، ثم ترجم جواب السيدة غارسيا قائلا:

- انها تقول ان يديها... واستعمل يديه للاشارة الى ما يعنيه.

قالت جانيت:

- تقصد ان يديها مقيدتان! لكن كيف سنحصل على الممر؟

نقل تولو الجواب على سؤالها قائلا:

- تقول ان عليها الكتابة لمدريد للحصول على اذن حكومي ببيع الممر!

سألته جانيت وقد بدأت معنوياتها ترتفع مجددا:

- وهل يمكنها ان تفعل ذلك باسرع وقت ممكن؟

اجابها تولو مترجما:

- ستكتب الرسالة هذا اليوم.

شعرت جانيت انها حققت شيئا ما، فسألت:

- كم من الوقت سيمضي حتى نحصل على جواب؟

ردت السيدة غارسيا بالاسبانية، ففهمت جانيت جوابها على الفور... شهر كامل؟ انه وقت طويل جدا! لكن جانيت عادت وقبلت بالواقع، على اعتبار ان الشهر فترة معقولة اذا ما عولجت القضايا بواسطة البريد.

نهضت السيدة غارسيا وقد ادركت انها ابقت تلامذتها وحيدين لفترة طويلة. ولم تشأ جانيت ان تؤخرها اكثر، لذلك صافحتها شاكرة وغادرت المدرسة برفقة تولو الذي تبادل ورئيسة البلدية عدة عبارات بالاسبانية.

امتلأت نفس جانيت بالارتياح لهذه المقابلة. فعلى الاقل، ابدت السيدة غارسيا تفهما لمطالبها وتعهدت بالكتابة الى مدريد نيابة عنها. وهذا يعني ان رئيسة البلدية لم تحسم المسألة بالرغم من لقائها المطول مع بروس والبروك.

في ساحة المدرسة ودع تولو جانيت قائلاً:

- يجب ان اذهب الآن، فقد اقترب موعد دوام العمل!

شكرته بحرارة للخدمات التي قدمها. ثم راقبته وهو يدخل سيارته المهلهلة... ولوحت له بيدها مودعة وسارت عائدة الى حيث وضعت دراجتها. وعندما وصلت الى المنعطف، احست بقدميها عاجزتين عن السير... لقد اختفت الدراجة. نقلت نظرها بقلق في كل اتجاه، لكن لا شيء ابدا. اقتربت من المنعطف اكثر... وفجأة عثرت على ضالتها، كانت الدراجة تحتل صندوق سيارة بروس والبروك الذي غرق في مقعده الوثير ينتظر عودتها من لقاء رئيسة البلدية. التفت اليها عندما اقتربت منه وقال:

- لقد سمحت لنفسي بوضع دراجتك في الصندوق.

ردّت جانيت ببرود:

- لم يكن ذلك ضرورياً، فانا اراها مفيدة جدا.

مال الى الباب يفتحه متجاهلاً عباراتها، وهو يقول:

- هيا ادخلي. انك تبحثين عن التعب باستعمالك الدراجة في مثل هذا الطقس اللاهب!

وقفت جانيت في مكانها وهي لا تدري ماذا تفعل. لم تكن بحاجة لمن يخبرها عن صعوبة العودة الى البيت على الدراجة، فقد جربتها عندما جاءت هذا الصباح. ومع ذلك كانت تجد حرجا في الاذعان لطلبه. وماذا تستطيع ان تفعل بعد ان حزم دراجتها في صندوق سيارته؟

دخلت الى السيارة الفاخرة وهي تلوم نفسها لعجزها عن مواجهة طباعه المتعجرفة ولكن ما ان انطلقت السيارة، وهبت النسيمات

المنعشة من كل اتجاه، حتى ارخت جانيت نفسها وسرحت بنظرها في الطبيعة الهادئة الممتدة في كل اتجاه. وكادت ان تستمتع بالرحلة لولا وجود بروس والبروك الى جانبها. فهي دخلت معه في معركة حامية ولا مجال للتراجع الآن.

وبدا ان بروس غير مستعجل للوصول الى الفيللا. فالسيارة تسير بسرعة معتدلة بالرغم من ان الطريق مفتوح امامها ولا وجود للسيارات الا ما ندر. ولم تبد جانيت انزعاجا من هذا التباطؤ، بل انتهزت الفرصة لتتأمل عن كثب تفاصيل الطبيعة الخلابة في هذه الجزيرة الرائعة.

وصل بروس الى الطريق الزراعي، وعبره متجها الى الممر الذي يقع بين الفيللا والبيت. ابتسمت جانيت في سرها وهي تلاحظ انه يستعمل الممر وكأنه اصبح جزءا من اراضي الفيللا. وما ان توقفت السيارة، حتى غادرتها جانيت بسرعة في حين تولى بروس مهمة نقل الدراجة الى احد الجدران. وفي هذه اللحظة ظهرت السيدة كيندال، فعلت الابتسامة وجهها عندما شاهدت بروس وقالت:

- السيد والبروك هنا!

قال بجفاء واضح وهو يضع الدراجة:

- لقد توليت نقل الدراجة، واستطعت اقناع ابنتك بمرافقتها!

- هذا لطف منك. فما رأيك بشراب منعش بعد هذه الرحلة المتعبة؟

ضاعت نظرة جانيت العاتبة في خضم ترحيب امها بالزائر العزيز. كما ان بروس لم يعرها اي اهتمام بل ابتسم للأم قائلا:

- ان الفكرة رائعة جدا.

لحقت جانيت بالاثنين الى الحديقة الخلفية ووجهها يقطر غضبا. ولشدة دهشتها لاحظت ان توبجي الخائنة اسرعت الى حضنه بينما ربض دال عند قدميه بسكون وارتياح.

عادت السيدة كيندال بعد لحظات وهي تحمل ابريقا من عصير الفواكه البارد مع ثلاثة اكواب. راقبت جانيت بروس وهو يتقبل

الكوب من امها، وعندما جاء دورها قالت:

- لا، شكرا. لست عطشانة على الاطلاق.

تناولت السيدة كيندال كوبها وراحت تحادث السيد والبروك بدون ان تغرق في ثرثرة لا معنى لها. فهي تعرف متى يكون الانسان محتاجا الى بعض الهدوء والسكينة بعد عناء نهار صيفي طويل. اما بروس فقد كان يتصرف وكأنه في بيته. وللحظات احست جانيت بانه يتمتع بكل شيء على حسابها الخاص. كل حركة او ابتسامة او كلمة يطلقها.

واستغربت كيف شعرت بنوع من الندم عندما نهض واقفا للعودة الى الفيللا. ولم تعرف كيف رافقته الى الباب الخارجي بعد ان ودع امها في الداخل.

اخرج بروس سيكارة من جيب سترته، وقال:

- وداعا يا آنسة كيندال. وبما ان مشكلة الممر اصبحت بين ايدي المسز ولبن في مدريد، فعلينا ان نقيم هدنة بيننا... على الاقل هدنة مؤقتة.

ولم تعرف جانيت ما اذا كان جادا او مازحا في كلماته. لكنها كانت متأكدة من شيء واحد عندما قابلت نظرته العميقة بنظرة مماثلة، ان معركة الممر ما زالت قائمة بينهما حتى اشعار آخر.

٦ ـ غضب غير مبرر

جاءأيار (مايو) اخيراً حاملاً معه أشعة الشمس اللاهبة، بحيث تحوّلت السهول الخضراء الى اللون الذهبي الاصفر، وبدأت نباتات الذرة تعطي ثمارها التي جذبت العصافير المختلفة من كل مكان.

شعرت جانيت أنها بحاجة الى هواء البحر المنعش ومياهه الباردة في مثل هذا الحرّ. وكانت تدرك أن ممرّ سكة الحديد كان يستعمل في السابق لنقل الملح، وهذا يعني أنه يمتد مباشرة الى الشاطىء الذي يبعد بضع كيلومترات فقط. وذات يوم سألت امها عن هذه المسألة، فردت السيدة كيندال قائلة:

ـ هذا صحيح ياعزيزتي. فسكة الحديد تأخذك مباشرة الى شاطىء رملي صغير، وقد استعملتها مرة أو مرتين بصحبة الكلب دال.

سألتها جانيت:

ـ هل يمكنني استعمال الدّراجة على هذه السكة؟

ـ اعتقد ذلك. فهناك ممر للمشاة على جانبيها. ولن تستغرق الرحلة اكثر من نصف ساعة وهي أفضل من الذهاب مشياً على القدمين.

تشجعت جانيت بالمعلومات التي حصلت عليها، وأسرعت ترتدي ثياب السباحة وفستانا صيفياً خفيفاً، ووضعت في حقيبة يدها منشفة متوسطة الحجم. . . ثم اتجهت ناحية الكوخ لأخذ الدراجة. ومع أن أشعة الشمس كانت حارقة، الاّ أن جانيت تمتعت بالرحلة خاصة وأن الممر كان ممهداً أمامها. وعلى طول الطريق الممتد بين البيوت والمزارع، أعطت الاشجار الباسقة ظلالاً وارفة حجبت في اماكن كثيرة حرارة الشمس.

ولم تجد جانيت نفسها الاّ وهي على الشاطىء. كان المكان يحتل نصف دائرة صغيرة من الرمال الذهبية، قام على احد طرفيه مقهى صغير وعلى الطرف الآخر عدة غرف لتغيير الملابس والاستحمام، بينما ظهرت في جانب منه مجموعة من القوارب الصغيرة.

واسرعت جانيت تتخلّص من الحذاء والدراجة لتلقي نفسها في احضان الموج الهادىء متمتعة بانتعاش الماء وصفائه. ولم يكن عدد السابحين ليتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة. . . لذلك استسلمت جانيت للبحر الذي انساها كل حرارة الرحلة من البيت الى الشاطىء.

بعد وقت غير قصير خرجت من البحر تتمدد بكسل فوق المنشفة التي احضرتها معها، ثم طلبت شراباً منعشاً من المقهى المجاور وراحت تتأمل حركة الموج الابدية، بينما الشمس تلوح جلدها الابيض. وما أن انهت شرابها حتى حزمت اغراضها تمهيداً للعودة الى البيت، لانها لم ترد أن تعرض نفسها للشمس بكثرة في المرة الاولى، طالما أنّ بامكانها المجيء ساعة تشاء. وفي المرة المقبلة ستحضر معها كتاباً لقراءته في احدى الزوايا المنعزلة.

كانت حرارة النهار قد خفّت عندما بدأت جانيت رحلة العودة.
وهكذا قادت دراجتها ببطء وهي تتمتّع بكل مشهد من مشاهد هذه الطبيعة الساحرة. وفجأة أحست بنوع من تأنيب الضمير لأنها تمضي أيامها براحة واستجمام بينما المفروض ان تكون في لندن لتكسب لقمة عيشها. وتذكرت صديقتها نونا التي لم تنقطع المراسلة بينهما طيلة الوقت. فقد كانت رسائل نونا تتحدث عن نمو علاقتها بأحد مدراء المحل الذي تعمل فيه، وايضاً عن مشاكل وطرائف انجيلا التي حلّت محل جانيت في الشقة حتى عودتها من اسبانيا.

لم تكن الساعة قد تجاوزت الرابعة بعد الظهر عندما وصلت جانيت الى البيت. وكانت تتصور ان أمها تعدّ الآن، ولا شك، الشاي والبسكويت بانتظار عودتها. ولكنها اكتشفت أن الباب الامامي مغلق وهو أمر لا يحدث الّا نادراً عندما تذهب الام للتسوق في نهاية الاسبوع. فتحت الباب ودخلت الى القاعة الرئيسية منادية على امها، الّا أن الصوت الوحيد الذي سمعته هو عواء دال الذي اسرع من المطبخ لاستقبالها. فكرت جانيت أن امها قد تكون ذهبت في نزهة قصيرة الى الحقول المجاورة، لذلك قررت أن تستحم بعد رحلة العودة ريثما تحضر السيدة كيندال الى موعد الشاي.

انهت جانيت الاستحمام ثم وضعت بعض الماكياج على وجهها الذي ظهرت عليه آثار الشمس، وعادت الى المطبخ وهي تتوقع أن يكون الشاي قد جهز.

ولكنها فوجئت بأن الصمت مازال مخيماً على البيت. ولاحظت أن المطبخ على الحالة نفسها التي تركته فيها بعد الغداء عندما ذهبت الى البحر.

بدأ القلق ينهشها وهي تفتش الغرف واحدة واحدة، ثم القت نظرة متفحصة على الحقول والبساتين المجاورة. ولم تهتم جانيت بالسيارات الفارهة المتوقفة امام الفيلا، كما لم تلحظ القطة توبجي التي جلست على أحد الجدران المطلة على الفيلا تتأمل شيئاً ما يجري

في داخلها.
وعندما عجزت عن رؤية امها في أي مكان، بدأت الشكوك تأخذ شكلاً محدداً... لكن هل هذا معقول؟ اسرعت تحث خطاها باتجاه الفيلا وما ان عبرت السلم الرخامي واطلت على الحديقة المحيطة بحوض السباحة حتى وجدت مجموعة من الناس في كل اتجاه... وهناك كانت امها تتحدث بسرور وارتياح الى عدد من الأشخاص.

تصرفت جانيت وكأنها جزء من المدعوين، واقتربت من احدى الطاولات متظاهرة بأنها تبحث عن شراب منعش بينما أرادت في الواقع أن تلفت نظر امها الى وجودها. ولكن اهتمام الام كان مركزاً في اتجاهات اخرى.

واخيراً استطاعت ان تقترب منها، ثم همست في اذنها متعمدة اخفاء فمها خلف كوب الشراب:
- امي ماذا تفعلين في هذا المكان؟
ردت السيدة كيندال هامسة:
- ولِمَ لا يا عزيزتي؟ لقد طلب منّا السيد والسيدة فورد ان نشارك في كل حفلة تقام في الفيلا... وأنا لا أمانع في اللقاء مع الآخرين والتحدث اليهم!
قالت جانيت وهي تحاول المحافظة على هدوئها:
- ولكن لا يمكن أن نتوقع الضيافة من الذين نخوض ضدهم معركة قانونية!
- كلام سخيف يا عزيزتي. فالسيد والسيدة فورد شخصان رائعان.

واضطرت جانيت الى التخلي عن الحديث، بعد أن استدارت أمها لتتابع طرفة يرويها أحد الحضور. فهي تدرك أن السيدة كيندال تفضل ان تتصرف وكأن مشكلة الممر غير موجودة على الاطلاق.
وهكذا وقفت في مكانها تتابع المشاركين في الحفلة وهي تحتسي شرابها المثلج، وفي كل شربة ألف غصة.

لم تكن السيدة كيندال وحدها سبب انزعاج جانيت، بل كان

هناك شخص آخر شاهدته فور دخولها الى الحديقة. وقد لاحظت أنه لم يرفع عينيه عنها منذ أن اقتربت من الحوض... وعندما التقت نظرته بنظرتها احست أنه ادرك ما حدث بينها وبين امها قبل لحظات.

وتمنت جانيت أن يكون انزعاجها بسبب النظرات التي وجهّها اليها بروس، وليس لانهّ كان بصحبة امرأتين رائعتي الجمال وقفتا تصغيان اليه بكل اهتمام. وارادت ان تهرب من نظراته التي ظلت تلاحقها بدون رحمة. لكنها أصرّت على البقاء كي تريه أنها غير مهتمة حتى ولو كان بصحبة عشرات النساء الجميلات.

اعترفت داخليا انها كانت تتألم وهي ترى ابتسامته المترفة كلما تحدثت اليه احدى المرأتين ووجدت نفسها تجاهد كي لا تغادر الحفلة راكضة وباكية وكانت على وشك ان تقدم على عمل طائش، عندما لامست كتفها يد من الخلف فالتفتت لتجد نفسها امام فرانسيسكو.

قال لها:

- لم اكن اعرف أنك هنا ياجانيت!.

ارتاحت جانيت لابتسامته الدافئة، ووجدت الفرصة سانحة للرد على بروس بالمثل، فقالت متضاحكة:

- اهلا فرانسيسكو. الواقع أنني وصلت قبل قليل.

اجابها ضاحكا:

- باكو... هكذا يناديني الاصدقاء المقربون. فكلمة باكو تصغير لاسم فرانسيسكو.

قالت بفرح:

- لا بأس اذن ياباكو.

نظر اليها ملياً ثم قال:

- هيا نذهب الى السباحة.

ردت عليه بنعومة وهي تلاحظ أن نظرات بروس الساخرة قد اختفت

- لا استطيع ياباكو. لقد عدت قبل قليل من الشاطىء!

حدق فيها متسائلا:

- ذهبت الى الشاطىء وحدك؟ لكن كيف؟

اجابته ببساطة:

- استعملت الدراجة.

صاح متسائلا:

- ذهبت كل المسافة على الدراجة؟

سرّت جانيت لتعابير فرانسيسكو المندهشة، فقد باتت تدرك أن الاسباني الحديث هو اكثر الاوروبيين اعتمادا على السيارة. وهو يفضل أن يستقلها حتى لو كانت المسافة مجرد امتار قليلة.

تابع قائلا:

- انه امر لا يصدق. اريد وعداً منك بأن تتركيني انقلك الى الشاطىء كلّما خطر ببالك ذلك!

اعتذرت مبتسمة:

- لا اريد أن ازعجك دائما يا باكو، فربما أرغب بالذهاب كل يوم!

اجابها بحماس قائلا:

- اذن سأذهب كل يوم ايضاً فانا متفرغ ابتداء من الساعة الثانية وحتى الخامسة. ارجوك قولي انك تقبلين مرافقتي؟

لم تكن جانيت متأكدة مما تريد. فهي من ناحية، لا ترغب بالاختلاط باحد وتفضل أن تبقى وحيدة على الشاطىء... ولكنها من ناحية اخرى تدرك أن بروس منزعج من وجود فرانسيسكو معها. لذلك قالت بعد تردد.

- حسناً ياباكو، سأكون مسرورة اذا ما رافقتني.

تابعت جانيت وفرانسيسكو حديثهما فتناولا مختلف المواضيع كالطقس والطعام والجزيرة وعادات السكان، بحيث اندمجت جانيت كلياً بالدور الجديد الذي اتخذته لنفسها. وكما توقعت فعلاً، تجاهل فرانسيسكو كل الحضور وظل يلازمها حتى بدأ الاخرون الاستعداد للرحيل.

كان بروس والبروك قد غاب عن ناظريها. فآخر مرة لمحته فيها، كانت الابتسامة الساخرة ما تزال تحتل زوايا شفتيه. ولكنها بعد لحظات، عندما وجهت نظرة خفية اليه، فوجئت بأن مرافقتيه الجميلتين وحدهما بينما اختفى هو عن الانظار.

ولم تره مجدداً إلّا عندما رافقها فرانسيسكو نحو الباب الخارجي مودعاً، كان بروس والبروك يرافق الام الى الخارج ايضاً. وعند السلم الرخامي وقفت جانيت وفرانسيسكو يخططان لرحلة الغد الى الشاطىء. واستغرق وجودهما هناك اكثر من عشر دقائق كان بروس خلالها قد اوصل الام الى البيت وعاد مارا بهما بدون أن يلتفت اليهما.

في البيت، كانت الام على وشك أن تبدل ملابسها الرسمية عندما وصلت جانيت الى الغرفة. وعلى الفور قالت السيدة كيندال:

ـ لقد طلبت من السيد والبروك أن يبقى قليلاً لتناول فنجان من الشاي، لكنه كان منزعجا جداً... واعتذر بحجة ان لديه اعمالاً هامة يجب انجازها سريعاً.

تجاهلت جانيت كلمات امها وانشغلت بملاعبة القطة التي استجابت سريعاً.

فقد امضت طيلة بعد الظهر في معركة خفية مع عدوها اللدود، ولا تريد الآن أن تدخل في نقاش غير مفيد مع امها.

جاء فرانسيسكو لاصطحابها الى البحر عند الساعة الثانية بعد الظهر في اليوم التالي. كانت قد أعدّت حقيبة يدها في حين استرخت الام مع القطة والكلب في قيلولة بعد الظهر. بدا فرانسيسكو جذاباً في قميص ابيض مفتوح الصدر على سروال حريري ناعم، أما جانيت فقد ارتدت سترة خفيفة فوق تنورة زرقاء اللون.

استغربت جانيت، عندما وصلت الى حيث سيارة فرانسيسكو الصغيرة، أن يكون بروس قد أوقف سيارته في عرض الممر وذلك لأول مرة منذ مجيئه الى هنا. وبينما فرانسيسكو منهمك في ترتيب اغراضه واغراض جانيت في المقعد الخلفي، سمعت جانيت صوت

باب سيارة يغلق بقوة... وما هي إلا لحظات معدودة حتى كان بروس ينطلق بسرعة جنونية مخلفاً وراءه عاصفة من الغبار والحصى الصغيرة. وعلى طول الطريق الزراعي المؤدي الى الشارع الرئيسي، كانت جانيت تحاول أن تتبين الى أين ذهبت سيارة بروس. واخيراً قررت أن تبعد ذلك الشخص عن ذهنها وتتمتع بهذا النهار الصيفي حيث الشمس تلون كل الطبيعة بأشعتها الذهبية الساطعة.

وبعد أن اجتازت السيارة قرية سان غبرييل واتخذت الطريق الساحلي المؤدي الى الشاطىء، التفت فرانسيسكو الى جانيت متسائلاً:

ـ كيف اصبحت لغتك الاسبانية هذه الايام؟

ردّت جانيت مبتسمة:

ـ تتحسن ببطء شديد. في بعض المرات أفكر أنني صرت ممتازة... ولكن في مرات اخرى أشعر انني مغفلة كبيرة!

ضحك قائلاً:

ـ لا تهتمي بذلك. عليك الاختلاط بالناس المحليين، فهذه أسرع طريقة لتعلم اللغة.

قاطعته قائلة:

ـ هذه هي المشكلة. انني أتعمّد الذهاب الى القرية كلّما أرادت امي شراء بعض الاغراض. لكن لغتكم تتضمن الكثير من المفردات المتشابهة ذات المعاني المختلفة. فلفظة الخميس بالاسبانية مماثلة لكلمة البيض. وهكذا أراني أطلب عدة «خميسات» اذا اردت شراء البيض، أو أتفق مع أحد الناس على موعد يوم... البيض!

انفجر فرانسيسكو ضاحكاً بصوت عال، لكن جانيت تابعت تقول:

ـ والشيء نفسه ينطبق على كلمتي «تسعة» و «جديد». بالامس تحدثت الى احدى النساء القرويات وقلت لها انك ترتدين تسعة احذية!

رد فرانسيسكو مازحا:

- ولكن اللغة الانكليزية ليست أفضل، ففيها من التعقيد الشيء الكثير!

قالت وهي تبتسم:

- انك تتكلم الانكليزية بطلاقة...

اجاب قائلا:

- لقد اضطررت للعيش سنة كاملة في بريطانيا حتى تمكنت من ذلك.

ضحكت جانيت وقالت.

- اذن عندي أمل كبير، اذ لم يمض على وجودي هنا سوى شهر واحد.

وصلا الى الشاطىء في وقت أقل بكثير مما استغرقته رحلتها على الدراجة، ولحسن حظهما، كان عدد السابحين قليلا، وسرعان ما خلع فرانسيسكو قميصه وسرواله واندفع الى الماء برشاقة، في حين ذهبت جانيت الى غرفة محاذية لارتداء ملابس البحر... ثم توجهت الى المياه.

انطلق فرانسيسكو الى عرض البحر بكل قوته. لكن جانيت لم تستطع مجاراته لذلك فضلت البقاء قريبة من الشاطىء. وبعد وقت قصير انضم اليها في سباحة قصيرة، ثم خرجا معاً للتمتع بأشعة الشمس بعد تعب اللعب والسباحة.

انهمكت جانيت بمد المناشف العريضة في حين تولّى فرانسيسكو مهمة احضار المرطبات المنعشة من المقهى المجاور. بعد ذلك استلقيا بكسل وصمت يراقبان السابحين والسابحات، الى أن حان موعد الرحيل.

خيّم الصمت عليهما طوال الطريق الى البيت. فقد كانا يتمتعان بالهواء العليل يلامس وجهيهما اللذين لوحتهما الشمس، ولم يحاولا بذل مجهود لافساد هذه المتعة. وعندما وصلا الى الفيللا، ودعها فرانسيسكو على أمل اللقاء في يوم اخر.

ويوماً بعد يوم توثقت عرى الصداقة بين فرانسيسكو وجانيت التي

عرفت أن بروس والبروك يتعامل مع زبائن اخرين في الجزيرة غير السيد والسيدة فورد، وأن المحاميين الشابين يتنقلان بين مكتبيهما في المدينة وآخر مؤقت في الفيللا.

وبات من المعتاد رؤية سيارة المحامي الاسباني الشاب تتوقّف يوميا أمام بيت جانيت، التي لم تعد تجد حرجاً في مرافقته طالما أنه يتمتع بالسباحة برفقتها في آن واحد، وكانت الرحلة تستمر من الساعة الثانية بعد الظهر وحتى آخر دقيقة يستطيع فرانسيسكو أن يظل فيها خارج المكتب ودوام العمل.

امضيا ساعات طويلة رائعة على ذلك الشاطىء المنعزل. كانا يغطسان بحثاً عن الاصداف في المياه غير العميقة، وفي بعض الاحيان كانا يشاركان في ألعاب رياضية مسلية على الرمال الدافئة. دائماً كان فرانسيسكو الى جانبها، وقد باتت جانيت تشعر أن معظم اللواتي يرتدن ذلك الشاطىء المنعزل يحسدنها لوجودها مع هذا الشاب الوسيم... لكنها لم تكن تشعر بأي شيء خاص تجاهه.

مرّات كانت تبتسم بسرها وهي مستلقية على المنشفة، ترى ماذا تقول صديقاتها الانكليزيات في هذه المسألة؟ لا شك أنهن سيسخرن منها... فهن على استعداد لدفع تكاليف باهظة مقابل يوم واحد على الشاطىء مع شاب اسباني مثل فرانسيسكو!

أما هي فيكفيها أن تشعر بالرفقة فقط، ولا شيء آخر غير ذلك. ومن هنا سبب نجاح صداقتهما. فكل منهما كان يكتفي بالرفقة والراحة التي يؤمنها الشاطىء، بدون أن يعني ذلك عدم الدخول في نقاشات وحوارات ظلت في اطار الاحترام المتبادل.

وعلى حين غرة حدث شيء غير متوقع وضع حداً لرفقتهما اليومية الى الشاطىء.

منذ البدء، شعرت جانيت أن بروس والبروك منزعج من صداقتها مع فرانسيسكو.

ولعل هذا السبب وحده يدفعها الى الاستمرار في ترسيخ العلاقة

وغنيتها. وفي احدى المرات، لاحظت أن المحامي الانكليزي كان يذرع شرفة الطابق العلوي ذهاباً واياباً بانتظار عودتها من الشاطىء. وكي تزيد من حدّة الموقف، تعمدت أن تقف مطولاً مع فرانسيسكو بل وأن تضحك بصوت عال حتى يسمعها بروس الموجود في مكان ما داخل الفيللا.

وصارت جانيت تقصد اثارة بروس بمثل هذه التصرفات الطفولية، الى أن حدث ذات يوم ووجدت نفسها وجهاً لوجه معه أمام باب الفيللا. لم تكن الساعة قد بلغت الخامسة بعد، لكن بروس خاطب فرانسيسكو بلهجة جافة وحازمة قائلا:

ـ اتمنى أن تعطي العمل أكثر مما تعطيه حاليا يافرانسيسكو. واذا كنت راغباً في تحقيق النجاح في عالم القانون، فاقترح عليك أن تهتم بالقضايا والدعاوى اكثر من اهتمامك بالنزهات والسباحة.

خيّم صمت ثقيل للحظات، قطعه بروس متابعاً:

ـ اوراق دعوى هاملين غير موجودة على مكتبي. لو كنت موجودا في الفيللا لعرفنا ما حدث لها!

ومع أن فرانسيسكو فوجىء بلهجته الجافة، واستغرب طباعه الحادة في مثل هذه المناسبة... الا انه هزّ رأسه قائلا:

ـ حاضر.

واسرع الى الداخل.

وجدت جانيت نفسها منبوذة بعد أن رحل فرانسيسكو، بينما استدار بروس لمراقبة زميله الاسباني وهو يغيب في احدى القاعات. وأحست بالتوتر الشديد يخيم على المكان، خاصة وان قسمات وجه بروس عبرّت بصراحة عن الغضب والضيق والانزعاج. ولم تنتظر جانيت حتى يأخذ بروس المبادرة، بل أسرعت تغادر المكان بدون أن تنطق بأية كلمة.

٧ـ سبب اللقاء... حادث

بعد ذلك الحادث، لم تعد جانيت ترى فرانسيسكو كثيراً. ومع انها كانت تلمح بين الحين والآخر سيارته متوقفة داخل الفيللا، الا انه كان يقضي معظم وقته في مكتب المدينة.

وازداد كرهها لبروس والبروك الذي يملك قوة طاغية. وكان غضبها يصل بها الى حدّ لم تعد قادرة على احتماله. وبالرغم من محاولة اقناع نفسها بان الحقد عليه يرجع الى موقفه المشين من فرانسيسكو، الا انها كانت تدرك انها منزعجة لانه حرمها من لذة اللعب على اعصابه بواسطة زميله المحامي.

وباتت تنتظر على احرّ من الجمر الحصول على قرار يمنح امها الحق الكامل في الممر. واخذت تتصور في سرها قيام سور يحيط بالممر.

وبوابة خاصة بالبيت تمنع اهل الفيللا من ايقاف سياراتهم الا داخل املاكهم. . . فهذا وحده سيقنع السيد والبروك العظيم بان هناك قضية مهمة قد خسرها.

وما ان انتهى الشهر المحدد حتى اسرعت متجهة الى سان غبريل لمعرفة آخر التطورات من مدريد. وفوجئت بان احدا لم يتذكر تفاصيل القضية، فاضطرت مجدداً الى الشرح المسهب مع كل صعوبات التفاهم باللغة. . . ومرة أخرى فوجئت بان شيئا جديدا لم يحدث على صعيد الممر.

وانتظرت اسبوعين آخرين قبل ان تقصد سان غبريل مجددا، لتحصل على الجواب السابق: لا جواب. وقد رفضت تصديق الكلام. . . جوانا التي تساعد امها احيانا في اعمال المنزل، قالت يوما ان القضايا العقارية تأخذ سنوات عديدة قبل البت بها.

ولم تعرف جانيت ما اذا كانت زياراتها المتكررة الى مبنى البلدية هي التي دفعت رئيسة البلدية الى مفاجأتهم بزيارة الى البيت. فقد شاهدتها تقترب بسيارتها الحديثة ذات يوم بدون ان تستعمل الممر، بل توقفت عند طرف الطريق الزراعي وعبرت الحديقة باتجاه البيت. خرجت السيدة كيندال عند سماعها صوت توقف السيارة، ولكنها عادت الى المطبخ بعد ان لوحت بيدها للسيدة غارسيا مفضلة ان تشغل نفسها باعداد الطعام بدلا من الدخول في مناقشات لا تنتهي حول الممر.

سلمت السيدة غارسيا على جانيت التي توجهت لملاقاتها في منتصف الطريق وهي تفكر في الاسباب الداعية الى هذه الزيارة غير المتوقعة. توقفت رئيسة البلدية للحظات كي تتأمل بيت السيدة كيندال، ثم ابدت اعجابها بنظافة المكان وتنوع الزهور المزروعة في الحدائق المحيطة. واخيرا سارت هي وجانيت باتجاه الممر، وعندما وصلت الىَ ناحية الفيللا اشارت بيدها الى الممر وقالت:

ـ هكذا.

خفق قلب جانيت بشدة لانها ادركت ان السيد والسيدة فورد يريدان شراء المساحة التي اشارت اليها السيدة غارسيا. وبواسطة القليل من الاسبانية سألت رئيسة البلدية عما اذا كان باستطاعة اصحاب الفيللا شراء كل الممر.

اجابت رئيسة البلدية بالايجاب، وشرحت لجانيت ان الممر كله ملك للحكومة، وان اي شخص يستطيع شراءه اذا اراد ضمه لاملاكه المجاورة.

ولم تنتظر جانيت كثيرا بل اسرعت تؤكد ان امها تريد شراء الممر كله. . . ثم لمست جدار الفيللا بيدها وهي تشعر بنوع من الارتياح، فذلك سيضع حدا لجبروت بروس.

اكتفت السيدة غارسيا بهذا القدر من الحديث عن الممر، فالتفتت الى الجبال الممتدة في الافق تتمتع بجمال الطبيعة الخلابة. لكن جانيت ارادت الحصول على جواب اكثر تحديدا، فاشارت الى ان الرسالة ارسلت الى مدريد في نيسان (ابريل) الماضي، وقد مضى شهران بدون جواب.

اجابت السيدة غارسيا بما يفهم منه ان الشهرين ليسا شيئا في عمر الزمان، خاصة في فصل الصيف.

كبتت جانيت رغبة اعترتها في ان تقول بان الموعد كان شهرا واحدا فقط. وعادت لتسأل عن الوقت الذي تتوقع فيه رئيسة البلدية الحصول على الجواب النهائي.

هزت السيدة غارسيا كتفيها علامة على انها لا تعرف تماما. ثم استدارت عائدة الى سيارتها. وكان على جانيت ان تكتفي بهذا الجواب، فاذا كانت رئيسة البلدية لا تعرف فان احدا غيرها لا يعرف ايضا.

وودعت رئيسة البلدية وهي تشعر بنوع من الاحباط. لقد جاءت السيدة غارسيا خصيصا لاظهار اهتمامها بمسألة الممر، ولكنها ستنسى كل شيء بمجرد عودتها الى سان غبريل. . . او هذا ما

تعتقده جانيت على الاقل.

عادت جانيت الى مقعدها وراحت تراقب سيارة السيدة غارسيا التي تجاور الآن السيارة الزرقاء المعروفة. خرج بروس والبروك من سيارته وتوجه للسلام على رئيسة البلدية التي رحبت به بحرارة.

ومن مكانها المنزوي اخذت جانيت تنظر بطرف عينيها الى الشخصين اللذين راحا يتحدثان بالاسبانية. وشيئاً فشيئا بدأت تشعر بالضيق للمدة الطويلة التي قضياها معا. وتساءلت عما يمكن ان تتحدث به السيدة غارسيا كل هذا الوقت. وطبعا لم يفتها ان تلحظ القوام الرشيق الذي بدا عليه بروس خاصة في قميصه الحريري الابيض الذي كشف عن ذراعيه القويتين وصدره العريض.

وبعد وقت ظنته جانيت ساعات طويلة، سمعت صوت باب سيارة يغلق فرفعت عينيها لتجد ان رئيسة البلدية قد تحركت عائدة الى سان غبرييل.

وكعادتها كلما وصل بروس الى الفيللا، اختفت جانيت داخل البيت، لكنها راقبته من خلف ستارة النافذة الامامية الى ان غيّبه الجدار العالي القائم عند طرف الممر. استدارت جانيت الى الداخل وهي تشعر بضيق في صدرها. فمع ان رئيسة البلدية جاءت لتفقد الممر الا ان المسألة ما تزال بعيدة عن الحل.

واخيرا حل شهر حزيران (يونيو) بحرّه الشديد وشمسه الساطعة التي لوّنت الحقول بلونها الأصفر الذهبي، وادخلت الالوان المفرحة كالاحمر والزهري والبنفسجي على الورود البرية المختلفة. ومع حزيران (يونيو) خلت الطرقات والساحات، واختفى الناس داخل بيوتهم او على شواطىء البحر. ورغم ذلك، كانت الطبيعة تبدي سحرها في اشكال كثيرة... وخاصة قرية سان غبرييل التي ازدادت بياضاً في ظل الشمس اللاهبة. وعلى عكس الحدائق والسهول التي لوّحتها الشمس، كانت جنائن الفيللا تزداد اخضرارا وتألقا، واشجار الفاكهة تتثاقل بالثمار التي اينعت او تكاد. وكم اشتاقت

جانيت للسير في ممرات الفيللا، كي تتمتع بانتعاشة الجو وسط اشجار النخيل والحور. الا ان كبرياءها كانت تمنعها من الذهاب الى هناك.

والاسباب نفسها كانت تدفعها الى استعمال الدراجة قاصدة شاطىء البحر. ومع ازدياد حرارة الصيف، ازداد عدد ضيوف الفيللا ايضا واصبحت الحفلات اكثر صخبا وحيوية، يشارك فيها اناس من كل الاجناس يقودون سيارات غالية الثمن.

ورفضت جانيت ان تظل في البيت تراقب افراح الآخرين في الفيللا، وداومت على الذهاب الى الشاطىء رغم ان رحلة الدراجة باتت مزعجة ومتعبة في الوقت نفسه. واكثر ما كان يزعجها رؤية النساء الجميلات المرفهات يقصدن الفيللا حيث تقف السيارة الزرقاء... ولذلك كانت تهرب يوميا الى ملاذها الاخير في البحر.

كانت تعرف ان امها تقصد الفيللا للمشاركة في الحفلات كلّما كانت هي على الشاطىء. وفي مرات كثيرة كانت تعود الى البيت ابكر من المعتاد لتجد ان الباب الامامي ما زال مغلقا ورائحة عطر امها المفضل تملأ ارجاء البيت. ولم تكن هناك فائدة من الكلام، فالسيدة كيندال مأخوذة بترف الفيللا وحفلاتها فلم تعد تجد اي حرج في المشاركة في كل حفلات السيد والسيدة فورد كلما استطاعت ذلك.

وزاد موقف الام هذا من صعوبات جانيت التي باتت تشعر بانها تخوض المعركة وحيدة ضدّ كل سكان الفيللا واصدقائهم. الى ان حدث في احد المرات وعادت من البحر باكرا لتجد امها في البيت رغم ان حفلة عارمة كانت تجري هناك. ولم تكن جانيت في مزاج معتدل، ذلك ان الجو كان ثقيلا وكئيبا حتى انها لم تتمتع بالسباحة كعادتها كل يوم.

فوجئت بامها جالسة في كرسيها تبكي بحرقة، فسألتها بفزع:

ـ ماذا حدث؟ ما الامر؟

مسحت السيدة كيندال دموعها بمنديل قائلة:

- انها القطة توبجي !
سألتها جانيت وهي تركع الى جانبها:
- ماذا حدث لها؟
اجابت الام بحزن عميق:
- لقد ماتت!
صرخت جانيت بصوت عال:
- ماتت؟ كيف حدث الامر؟
ردت السيدة كيندال من خلال دموعها:
- كنت ذاهبة للانضمام الى الحفلة عندما شاهدتها. مرمية وسط الممر، ولا شك ان احدى السيارات دهستها.
وبدون ان تدري، نهضت جانيت غاضبة وغادرت البيت مسرعة. اتجهت الى الممر وعيناها تبحثان هناك. عند الصباح كانت توبجي تلاعب الام وتطارد الفراشات والذباب في كل اتجاه. واخيرا وجدتها. كانت مرمية الى جانب السلم، وفمها المفتوح يظهر اسنانها البيضاء الصغيرة. . . وانهمرت الدموع الحارة على وجنتي جانيت التي اتجهت بدون تردد الى الفيللا. يجب ان يدفع احدهم ثمن مصرع القطة الصغيرة. تسلقت السلم الخارجي الرخامي واجتازت الباحة الامامية وهي تبحث من وسط الدموع عن السيد والسيدة فورد بين الجموع. وكما توقعت وجدت صعوبة في رؤيتهما وسط هذا الحشد. ولكنها لن تيأس، يجب ان تواصل البحث حتى تعثر عليهما.
وكانت على وشك ان تتغلغل بين الناس بحثا عن صاحبي الفيللا عندما لمحها بروس الذي كان يأخذ زاوية منعزلة في الشرفة. توجه اليها على الفور بعدما لاحظ حالتها العاطفية ولاحظ عينيها المحمرتين الدامعتين. وقبل ان يلحظ وجودها احد اخذها من ذراعها بحزم وابعدها عن المكان قائلا:
- ماذا حدث؟ ما الامر؟
كانت جانيت تريد ان تقذف في وجهه كل الكلمات القاسية التي

ردّدتها في فكرها مرارا. ولكنها عجزت، واكتفت باغلاق عينيها على الدموع التي ازدادت انهمارا.
رفع بروس يده الى كتفيها وقادها بلطف الى احدى قاعات الفيللا المجاورة، ومنها الى مكتبه الخاص في الداخل. وعندما اصبحا في المكتب اغلق الباب خلفه متسائلا:
- والآن ما المشكلة؟
استردت جانيت شجاعتها التي ضاعت بمجرد رؤيته، ومع الشجاعة عاد الغضب ينفجر في كلمات قاسية:
- قطتنا توبجي، لقد قتلت دهسا من قبل احدى السيارات المجنونة التي تقصد الفيللا. انها ترقد الآن وسط الممر. لقد شاهدتها امي وهي في طريقها الى الحفلة. والآن حدث ما كنت اتوقعه دائما. . .
جاهدت جانيت لمنع دموعها الغزيرة، لكن الحزن غلب على مشاعرها فارتمت على اقرب كرسي تبكي وتنتحب.
فات اوان التظاهر بالشجاعة الآن. . . وهكذا غرقت جانيت باحزانها، وباتت تتمنى لو انها لم تأت الى ابيزا ولم تخض هذه المعركة من اجل الممر.
ولم تعد جانيت الى تركيزها الا عندما قدم لها بروس كأسا من الشراب المنعش قائلا:
- هيا اشربي، فهذا سيجعلك ترتاحين.
هزت رأسها بقوة:
- لا اريد منك شيئا.
قرب الكأس قائلا بحزم:
- افعلي ما اقول لك. اشربيه ببطء وسأعود بعد دقائق.
سمعته يغلق الباب بهدوء عندما غادر المكتب. وبما ان الكأس في يديها قد راحت تشرب ببطء. . . وسرعان ما هدأت نفسها، وفكرت بانها تصرفت بغباء وسذاجة امام عدوها اللدود.
انهت شرابها ومسحت الدموع عن وجنتيها وهي تفكر بالمصير

الذي آلت اليه القطة الصغيرة. عاد بروس بعد لحظات وهو يمسح يديه بمنشفة صغيرة. وعلى الفور عرفت ماذا خرج يفعل قبل قليل.

مسحت آخر دموع في عينيها قائلة:

ـ يجب ان اذهب الى البيت الآن.

فتح لها الباب قائلاً:

ـ سأرافقك الى الباب الامامي.

اجابته بصوت منكسر:

ـ لا ضرورة لذلك فانا على ما يرام.

اخذ ذراعها وكأنه لم يسمع عبارتها الاخيرة وقادها عبر القاعة الى الساحة الخارجية، ومنها الى السلم الرخامي المؤدي الى الممر. ومع انها حاولت الا تنظر الى حيث كانت القطة تويجي، الا ان عينيها سبقتاها، فلم يكن هناك الآن سوى بقعة من الدم تدل على ما حدث.

وبدون ان تنطق، سحبت جانيت ذراعها من يد بروس واسرعت راكضة الى البيت.

٨ـ دعوة الى نزهة

وصل فصل الصيف الى ذروته وامتلأت الجزيرة بالمصطافين والسيّاح من كل حدب وصوب. وكان صوت الباصات الكبيرة وهي تنقل الناس بين المدينة والشاطىء وبالعكس، يسمع حتى البيت... في حين ظلت الفيللا صامتة ساكنة الا في ما ندر.

امضت جانيت أيامها سارحة في الحقول المجاورة، بدون أن تجرؤ على الخروج الى الممر. فقد كان وجه القطة تويجي يملأ عليها كل المشاهد، خاصة منظرها الأخير وهي غارقة في الدم. ومع أنها تدرك أن احداً لم يعط المسألة كل هذا الاهتمام، بل وأن الام نسيت الموضوع كلياً بعد فترة قليلة... الا انها ظلت مرتبطة بالبقعة التي شهدت الحادثة.

وفي أحد الأيام، بينما كانت مشغولة بتأمل احدى النباتات في الحديقة، سمعت وقع اقدام خلفها فالتفتت لتجد فرانسيسكو يقترب نحوها وهو يحييها بالاسبانية، ردت تحيته بحرارة، فهي لم تعد تراه الا قليلا بعد ان تركز عمله في المدينة منذ الموقف السلبي الذي اتخذه بروس من ذهابهما معاً الى الشاطىء.

سار اليها عبر الاعشاب اليابسة والأرض غير الممهدة، وهو يبتسم بحرارة وشوق، ثم قال:

ـ جئت ابلغك اننا ذاهبون في نزهة.

لم تبد جانيت اهتماماً جدياً بما قاله، لذلك تابع قائلا:

ـ سنكون أربعة فقط، بروس وامك وأنت وأنا. هيّا يجب ان تستعدي.

تركته جانيت يقودها عبر الحقل ليس لأنها راغبة بالذهاب في النزهة، بل لأنها لم تكن راغبة بالرفض. فقد اعتقدت ان فكرة النزهة من صنع بروس الذي طلب من فرانسيسكو ان يقنع جانيت بها. ولا شك انه راقبها طويلاً من مكتبه داخل الفيللا ولاحظ انها تطيل الوقوف قرب البقعة التي أصبحت المثوى الأخير لتوبجي.

في البيت، كانت الأم لا تخفي فرحتها واندهاشها وهي تقول:

ـ انها فكرة رائعة... سيأخذنا بروس في نزهة طويلة.

فتشت السيدة كيندال في خزانتها قليلاً ثم اضافت:

ـ سأرتدي الفستان الأخضر.

ردت جانيت بلا مبالاة:

ـ اما انا فسأكتفي بغسل وجهي.

استدارت الأم نحو ابنتها وعلامات الاستفهام على وجهها:

ـ ما هذا؟ عليك ان ترتدي شيئاً جميلاً أمام هذين السيدين اللطيفين.

ومن أجل ارضاء امها فقط، ارتدت جانيت ثوباً ابيض اللون لم يسبق لها ان ظهرت به في الجزيرة، لأنه لم يكن مناسباً للزيارات المحلية ورحلات التسوق المعتادة. أما الآن، فلا شك انه يناسب

السيارة الفاخرة والنزهة التي يعدّها بروس.

واستغربت جانيت كيف ان معنوياتها ارتفعت، وشعرت بالتحسّن والانتعاش بمجرد ان استحمت وتعطرت وارتدت الفستان الابيض. فقد كانت الشمس قد لوحت بشرتها تماماً مما اعطاها لوناً نارياً دافئاً زاد من تألقها وانوثتها.

وفوجئت، عندما عادت الى غرفة الاستقبال، ان بروس والبروك كان ينتظر هناك، بأناقته المعتادة سار بروس نحوها مسلماً، ثم التفت الى الخلف قائلاً:

ـ جاهزون؟

نظرت جانيت الى الكلب دال الذي شعر بالجو العام في البيت، فراح يتنقل من مكان الى آخر وكأنه يريد مرافقتهم في النزهة. لاحظ بروس نظرات جانيت، فالتفت الى الكلب قائلاً وهو يحرك اصابعه بطريقة معينة:

ـ يمكنك ان ترافقنا ايضاً ايها الكلب العجوز!

وقبل ان يغير احد رأيه اسرع الكلب دال يقود الطريق، فتبعه الجميع الى السيارة في حين كانت ضحكات السيدة كيندال تملأ المكان.

شاهدت جانيت فرانسيسكو يقف قرب سيارته البرتقالية الصغيرة، وبدون تردد توجهت نحوه، في حين كان بروس يفتح باب سيارته الفارهة للسيدة كيندال وكلبها. وبعد ان استقر الجميع انطلقت السيارتان، وسيارة بروس في المقدمة، واتجهتا نحو الشاطىء.

لم تكن جانيت قادرة على الاستمتاع بالمناظر الجميلة والهواء المنعش الذي كان يلفح وجهها. وطوال الطريق، كانت عيناها مركزتين على السيارة الامامية. وبالتحديد على الرجل الذي يقود الطريق. وأحست في اعماقها بحدس ينبئها بأن هذا النهار سيكون مختلفاً بشكل او بآخر.

وصلت السيارتان الى الشاطىء الذهبي المزدحم، ومن هناك انعطفتا باتجاه بلايا ايسكانا، نحو الريف الزراعي حيث التربة الحمراء مزروعة بأشجار الزيتون والصنوبر والمطلة على الخليج الصغير الذي يمهد الطريق لشبه جزيرة صغيرة تدعى سانتا ايلاليا. كانت المنطقة هادئة، ريفية الطابع، تحيطها الخضرة من جميع الجوانب. اما شوارعها فكانت صغيرة، وفيها العديد من محلات بيع الهدايا والملابس الوطنية. عبرت السيارتان هذه القرية المنعزلة، ثم سلكتا الطريق المؤدي الى ابيزا.

وعلى مدى ساعة جابت السيارتان مدن وقرى الجزيرة، وعبرتا مناظر متنوعة من الشواطىء والجبال والسهول. والملفت للنظر ان كل قرية او مدينة كانت تتمتع بميزاتها الخاصة التي تجعلها قبلة الأنظار من قبل السيّاح والمصطافين. واخيراً توقف بروس امام فندق ريفي، يطل مقهاه على الشاطىء الصخري، وانتظر حتى انضم اليه فرانسيسكو، وتحت خيمة بيضاء تكشف الريف والبحر معاً، احتل الاربعة مقاعدهم وطلبوا مرطبات منعشة بعد هذه الرحلة الطويلة.

جلست جانيت قبالة بروس على الطاولة وهي تفكر بالتغيير الذي طرأ عليها منذ ان غادرت البيت هذا النهار، اذ كان من الصعب عليها الاّ تشعر بالحياة المتجددة بعد هذه النزهة والمناظر الخلاّبة... وجدت نفسها مع كل مشهد جديد تزداد اقتناعاً بان الحياة مستمرة... ورائعة ايضاً.

ولم تستطع جانيت ان تجلس طويلاً قبالة بروس الذي راح يحدق فيها بعينيه الزرقاوين الحادتين. لذلك تركت امها تحدثه عن موقع الفندق الجميل والناس الذين ينزلون فيه، وانضمت الى فرانسيسكو الذي كان يقف على الشرفة يتأمل البحر. وعلى الفور بدأ المحامي الاسباني الشاب يشرح لها مواقع الجزيرة، ويشير الى الموانىء العديدة المنتشرة حيث القوارب الشراعية تتحرّك بكسل فوق المياه الهادئة

الصافية.

انتهى الاربعة من مرطباتهم، واستعدوا للعودة الى البيت عن طريق الاستمرار في خط مستقيم ذلك انهم في شبه دائرة حول الجزيرة، وهذا يعني انهم سيصلون الى سان غبرييل اذا ما استمروا الى الامام، وليس من الضروري ان يعودوا من حيث اتوا.

* وفجأة، وجدت جانيت نفسها في سيارة بروس. لم تعرف كيف حدث الامر، ولكن يبدو ان الكلب قفز الى السيارة البرتقالية فلحقته السيدة كيندال...

وهكذا اخذ فرانسيسكو والسيدة كيندال الطليعة، في حين لحقهما بروس وجانيت في السيارة الزرقاء الفاخرة. وشعرت جانيت بالفرق الكبير بين هذه السيارة والسيارة التي استقلتها من قبل. ولذلك راحت تتأمل فرانسيسكو وامها اللذين يقودان امامها، وهي تستمتع بالراحة في مقعدها الوثير. وعلى حين بغتة انتصبت في كرسيها بتوتر وقلق، اذ ادركت بعد فوات الاوان ان بروس انعطف في طريق ضيق تاركاً السيارة البرتقالية تتابع سيرها الى البيت. ولم يشرح بروس لجانيت معنى خطوته المفاجئة هذه، بل اكتفى بالقول:

ـ يجب ان أرى احد الزبائن.

واكتفت جانيت باطباق شفتيها بشدة، بدون ان ترد عليه بكلمة. وسرعان ما وجدت نفسها تتمتع بالمناظر الريفية الخلابة وهما يخترقان الطبيعة الصامتة الهادئة.

وبعد عشر دقائق تقريباً ظهرت امامها المدينة التي يقصدها بروس، وهي تقع في اسفل واد متوسط العمق، تحيط به الاشجار والغابات من كل النواحي. وما هي الا لحظات حتى كان بروس يقود سيارته في شوارع المدينة الضيقة، ثم توقف امام احد البيوت قائلاً:

ـ علينا ان نسير الآن، فالسيارة لا تصل الى المكان الذي اقصده.

عبرا عدة ازقة ضيقة، على جوانبها تقوم بيوت صغيرة مطلية باللون الابيض الناصع، وتطل عليها نوافذ خشبية تتدلى منها زهور

مختلفة. ثم وصلا الى شارع اوسع، تبدو البيوت القائمة على جانبيه كبيرة وثمينة. وأمام احد هذه البيوت وقف بروس وقرع الجرس. بعد لحظات اطلت امرأة ترتدي ثياباً سوداء، تناولت منه بطاقة تعريف والقت نظرة فاحصة عليها، ثم فتحت الباب الحديدي وطلبت منهما الدخول والانتظار ريثما تبلغ صاحب البيت.

انتظرت جانيت وبروس في ردهة واسعة يدل الاثاث الذي يملأها على أن اصحاب البيت من ذوي الثروات الكبيرة. فقد كانت هناك لوحات فنية لعدد من الاسماء اللامعة في دنيا الفن، بالاضافة الى تماثيل ومنحوتات كثيرة. وبعد لحظات اطلّ رجل عجوز ذو شعر اشيب غزير لوحت الشمس بشرته، وقد ارتدى ثوباً اسود اللون، عرّفها عليه بروس بأنه الدون ايغنازيو... ثم راح يحادثه بالاسبانية.

استغربت جانيت كيف يأتي بروس الى موعد عمل بدون ان يحمل معه حقيبة يده. لكنها فكرت ان المناقشة الشفهية بين الرجلين الآن قد تكون الخطوة الاولى نحو التعامل الرسمي فيما بعد. وهكذا امضت عدّة دقائق تتأمل اللوحات والمنحوتات بينما الرجلان غارقان في شؤونهما الخاصة. بعد ذلك أصرّ الدون ايغنازيو على اظهار ضيافته الاسبانية العريقة، الاّ ان بروس رفض كل العروض... لكنه قبل عرضاً واحداً مما اسعد صاحب البيت الذي اشار اليهما باتجاه الداخل، ومن هناك خرجوا معاً الى حديقة غناء رائعة، كانت محاطة من ثلاثة جوانب بجدران عالية مغطاة بالورود المتنوعة. وبكل فخر وكبرياء قاد الدون ايغنازيو ضيفيه عبر اشجار النخيل والبرتقال والموز وقرب أنواع منَ الزهور والنباتات.

وبين الحين والآخر كانت يد بروس تلامس ذراع جانيت وهو يقودها في هذه الجنة الرائعة. وتذكرت نزهتهما في حديقة الفيللا، وخفقات قلبها الشديدة الغريبة التي كانت ترافق كل لمسة منه.

بعد الانتهاء من مشاهدة الحديقة، استأذنا الدون ايغنازيو

بالانصراف وعادا سيراً على الاقدام من حيث أتيا. كانت الحياة قد بدأت تعود تدريجياً الى المدينة بعد ان خفّت حدّة الشمس. ولاحظت جانيت ان العديد من النوافذ فتحت واخذت تظهر منها اوجه سمراء بفضول واضح. وعند احد المنعطفات اوقفها بروس في مكانها، للسماح لعدد من الحمير المحملة بأشياء كثيرة بالمرور في الزقاق الضيق. كان المنظر رائعاً... وعندها ادركت لماذا احضرها بروس الى هنا، فهو يريدها ان ترى مباشرة قطعة اسبانية صميمة وليس مدناً او قرى تغيّرت كثيراً من اجل السيّاح والزائرين. ولعلّه فعل ذلك من اجل ان يساعدها على نسيان مأساة موت قطتها الصغيرة. فبما انه محامي السيد والسيدة فورد فهو مسؤول بشكل او بآخر عن اي ضرر يحدثه ضيوف الفيللا بحق الآخرين.

وبالرغم من هذه الافكار، لم تنكر جانيت السعادة الغامرة التي كانت تشعر بها. وهكذا، عندما وصلا الى ساحة مفتوحة تفصل مجموعة من الأزقة الضيقة، وجدت نفسها تتوقف بدون سبب واضح. ومع ان المكان كان عبارة عن جدران بيضاء ونوافذ مغطاة بالورود، الاّ ان جانيت كانت تسمع اصواتاً طبيعية بعيدة لا علاقة لها بكل ما يحيط بها. وراحت تدور في الساحة وحدها، واقتربت من نافورة مياه قديمة محت السنوات معالم التماثيل فيها... ووسط هذا الصمت شعرت جانيت بأنها تقف في قلب الحياة الاسبانية الاصيلة. او لعلّ مزاجها الخاص سبّب هذه الأحاسيس والمشاعر؟

كانت قد ابتعدت عن بروس الذي عاد واقترب منها، وكأنه يحسّ بما يختلج في صدرها من مشاعر وأفكار. ومرّة اخرى أوجد هذا الرجل الخفقات الغريبة في قلبها. جاء صوته ليقطع الصمت الطاغي قائلاً:

- هل نذهب؟
- اجل.

ادركت وهي تسير الى جانبه انها المرة الاولى التي تتكلّم فيها اليه طيلة بعد الظهر.

انطلقت السيارة عائدة بهما الى سان غبرييل وظلّ الصوت الوحيد المسموع هو ذلك الذي تتركه الريح تنزلق على نوافذ السيارة. وعندما وصلا الى البيت، ارادت جانيت ان تنطلق بأقصى سرعتها بعيداً عنه... لكنه كان الى جانبها يفتح لها الباب ويساعدها على النزول. اضطربت عندما واجهتها نظراته الحادة الباردة، لكن عواء الكلب وظهور امها امام البيت انقذاها من اضطرابها واحراجها.

استقبلتها السيدة كيندال بالضحكات العالية وهي تقول بلهجة ذات معنى:

ـ ماذا حدث لكما؟ لقد عدنا أنا وفرانسيسكو منذ وقت طويل جداً!

اجابتها جانيت بهدوء:

ـ ذهبنا لرؤية احد الزبائن.

وبدون ان تنتظر جواباً، توجهت مسرعة الى غرفة نومها وهي تريد الانفراد بنفسها وافكارها وخفقات قلبها الغريبة.

لعل خيالها هو الذي جعلها تعتقد ان اللحظات التي امضتها قرب نافورة المياه لم تكتف بتغييرها فقط، بل اثرت كثيراً ببروس نفسه...

٩ـ صدمها تجاهله!

لم تكن هناك خدمة بريدية منتظمة خارج قرية سان غبرييل. فالبريد يأتي الى القرية كل يوم بعد الظهر بواسطة الباص الذي يربط المنطقة بمدينة ايبيزا. وكل من يتوقع رسالة عليه مراجعة مقهى القرية أو محل السمانة الاساسي فيها.

وقد اعتادت السيدة كيندال الاعتماد على الذين يصدف مرورهم قرب بيتها لنقل البريد اليها. وبما ان جانيت كانت متفرغة بين السادسة والسابعة مساء كل يوم، فقد تعودت زيارة المقهى او محل السمانة لاحضار البريد بنفسها.

عادت جانيت مساء أحد الايام ووضعت البريد أمام امها التي كانت تجهز طعام العشاء. تركت السيدة كيندال كل ما بين يديها

واسرعت تقلب الرسائل كعادتها. ابتسمت وهي تقول:

- هذه رسالة من آيان الذي لم اسمع عنه منذ مدة. ورسالة اخرى من جين، واعتقد انها كلها حول دروس الباليه التي تتابعها الصغيرة جان.

وتوقفت فجأة عندما وصلت الى الرسالة الثالثة ذات المغلف الابيض السميك:

- ما هذه الرسالة؟ انها تحمل طابعاً بريدياً محلياً؟

ردّت جانيت التي كانت تغسل يديها استعداداً للطعام:

- لست ادري لا شك انها مرسلة من احد سكان القرية!

قلبت السيدة كيندال المغلف بين يديها والحيرة ترتسم على وجهها قائلة:

- لكنني لا اعرف احداً في الجزيرة يا حبيبتي... فقط بعض سكان سان غبرييل!

ابتسمت جانيت وكأنها لا تصدّق امها التي كثيراً ما تعقد صداقات عابرة، ثم قالت:

- لماذا لا تفتحين المغلف حتى نعرف مصدر الرسالة؟

وضعت السيدة كيندال الرسائل جانباً ريثما تنتهي هي وابنتها من طعام العشاء الذي كان قد أعدّ من قبل. وبعد الانتهاء انهمكتا في ترتيب المطبخ وجلي الصحون... ثم انتقلتا الى غرفة الجلوس حيث عمدتا الى الاطلاع على الرسائل، فبدأتا بالرسالتين العائليتين. وكان من الطبيعي ان تنشغلا في مواضيع عائلية مختلفة، بحيث لم تصلا الى الرسالة الرسمية الا في وقت متأخر من الليل.

سحبت السيدة كيندال بطاقة مذهبة الاطراف من المغلف الرسمي، فسألتها جانيت بفضول:

- ما هذا؟

ردت السيدة كيندال بسرور عارم:

- انها ما ينتظره كل سكان المنطقة يا عزيزتي. انها حفلة الموسم

الساهرة.

اطلعت جانيت على البطاقة التي تحمل دعوة الى السيدة كيندال وابنتها للمشاركة في الحفلة التي تقام بعد ظهر اليوم الأخير من شهر تموز (يوليو).

أعادت جانيت البطاقة الى امها قائلة:

- يبدو انها ستكون حفلة مليئة بالاحداث والناس.

هزّت الام رأسها موافقة:

- لا شك في ذلك ابداً يا عزيزتي. فالسيد فورد يحتل منصباً بارزاً في دنيا التجارة البحرية، وقد سمعت ان الحفلة ستضم العديد من اثرياء البحر... انه لطف بالغ من السيد والسيدة فورد ان يوجها الينا دعوة خاصة.

ابتسمت جانيت قائلة:

- دعوة بالبريد ايضاً.

فكرت السيدة كيندال للحظات بعبارة ابنتها الأخيرة ثم قالت:

- لماذا لا تحضرين الحفلة هذه المرّة يا عزيزتي؟ انا متأكدة من انك ستكونين مسرورة للغاية.

لم تجب جانيت على الفور. ولكنها كانت تقلّب الفكرة في ذهنها منذ قرأت الدعوة... ولأسباب تختلف كلياً عن اسباب امها. كان قد مرّ اسبوع على نزهتها مع بروس، ومنذ ذلك الحين لم تعد تراه الا نادراً، اما في سيارته او في داخل الفيللا. وهذا الشيء لا يريحها على الاطلاق. فهي تريد ان تراه اكثر، ان تفتعل المناسبات لتزوره في الفيللا وتكون معه تماماً كما حدث في حديقة الدون ايغنازيو وقرب نافورة الماء الساحرة.

حفلة يوم الجمعة ستعطيها العذر للذهاب الى الفيللا. فماذا تتوقّع اكثر من دعوة رسمية على بطاقة مذهبة الاطراف؟

واخيراً رفعت رأسها وقد حسمت امرها قائلة بسرور:

- حسناً. لكنني سأجد صعوبة في التعامل مع أناس معظمهم من

اثرياء البحر!

شجعتها السيدة كيندال وهي تضحك بسعادة لقرار ابنتها الايجابي:

ـ لا تهتمي بذلك ابداً. فالسيد والسيدة فورد يرغبان بوجود جيل الشباب قربهما. . . وهذا يعني ان التوازن سيكون قائماً.

والحقيقة ان جانيت لم تكن قلقة ابداً. فبروس سيكون هناك، ومن المشكوك فيه ان تنظر الى احد سواه طالما انه موجود.

وفجأة هتفت السيدة كيندال محركة يديها بعصبية وقلق:

ـ يا الهي. لقد تذكرت الآن انني لا املك شيئاً ارتديه لهذه الحفلة الخاصة.

نظرت جانيت اليها مبتسمة وقالت:

ـ لا بأس، انا متأكدة انك سترتبين امورك!

بدأت السيدة كيندال التفكير في ما تضمه خزانتها وادراجها، وهي تقول:

ـ حسناً، هناك الشال الحريري الذي يحتاج الى قطبة أو قطبتين. . . لكنه رائع وعصري.

وفجأة تركت كل شيء ونهضت قائلة:

ـ سأذهب لارى ما يمكن ان أفعل به.

وخلال اليومين التاليين انغمست جانيت بحماس يشابه حماس امها في الاستعداد لحفلة الفيللا. فقد كانت ترغب في الظهور بأجمل حلة وأروع منظر، ولذلك اخرجت كل فساتينها وراحت تستعرضها. وبدا لها انّ شيئاً لا يصلح للسهرة، ومع ذلك فهي مجبرة مثل امها على التعامل مع الموجود. وهكذا اختارت فستاناً ليلكي اللون لم تستعمله في الجزيرة بعد.

وفي اليوم الموعود، غسلت شعرها ثم امضت ساعات طويلة امام مرآتها كي تضع على وجهها الماكياج الذي يناسب الفستان. وعلى الرغم من جهودها المضنية، فان منظرها الاخير كان عادياً. . . لكنها

متأكدة من ان شعرها الحريري المناسب واللون الذهبي الذي وهبتها اياه الشمس الصيفية سيجعلانها محط انظار الجميع.

وكالعادة ألحّت السيدة كيندال في الذهاب الى الفيللا عندما ازف الموعد المذكور على البطاقة، لكن جانيت استطاعت تأخير اللمسات النهائية من الماكياج حتى امتلأ الممر بالسيارات من مختلف الانواع. عندها سارتا باتجاه الفيللا محاولتين تجنب الغبار والاعشاب. . . وكم كانت سعادة جانيت كبيرة عندما لاحظت ان السيارة الزرقاء متوقفة في مكانها المعهود.

وما ان قطعت السيدة كيندال وابنتها الردهة الامامية حتى تناهت اليهما اصوات الحضور. ومع ان جانيت كانت تتوقع زحمة كبيرة في الحدائق حول حوض السباحة، الاّ ان ما رأته عندما وصلت الى المكان فاق كل توقعاتها. فالحدائق كانت مكتظة بأشكال والوان من البشر والملابس، وزاد في ازدحام المكان شتلات الورد التي وزّعت في كل مكان خصيصاً في هذه المناسبة. ووسط الالوان المختلفة، كانت الملابس البيضاء التي يرتديها الخدم تظهر بوضوح وهم يسيرون بين المدعوين حاملين صواني الاكل والمرطبات. وعلى الفور راحت السيدة كيندال تستكشف المحيط والحضور، وبرفقتها جانيت التي شعرت بنوع من الخجل. وبعد لحظات التقتا السيد فورد الذي رحب بهما بحرارته المعهودة ثم عرّفهما الى حلقة من اصدقائه اتخذوا ظلّ احدى الاشجار مكاناً خاصاً لهم.

امضت جانيت وامها عدة دقائق مع هذه المجموعة تستمعان الى نوادر وطرائف مرّت بهم في اعمالهم وحياتهم. ثم تابعتا تجوالهما في الحدائق. وفي كل مكان منزو اكتشفتا وجود خيمة كبيرة بداخلها ساحة للرقص وفرقة موسيقية من خمسة اشخاص تعزف الالحان المختلفة لمجموعة من الراقصين وهكذا دلفت جانيت وامها الى داخل الخيمة تراقبان الجو الحماسي الراقص.

والى جانب هذه الخيمة، انتصبت خيمة اخرى اقل حجماً، في

داخلها راقصو وراقصات الفلامنغو. وقفت المرأتان تستمتعان بالرقص الاسباني الشعبي... ولكن السيدة كيندال التي اشتاقت الى الكلام مع الآخرين، انسحبت بعد دقائق وتوجهت الى الموائد العامرة بالطعام، في حين سارت جانيت ببطء نحو حوض السباحة بدون ان تبحث عن شيء محدد. فمنذ ان وطأت هذا المكان واحاسيسها تنتظر ساعة تلتقي ببروس. وما زالت تترقب حتى الآن لأنه لم يظهر بعد. وراحت تتساءل عن الاسباب التي جعلته يبقى داخل الفيلا في مثل هذا الوقت. وتمنت ان يخرج وينضم الى الحضور فوراً. ولاحظت بعد وقت قصير ان فرانسيسكو غير موجود ايضاً. ولكن لم تشعر بالوحدة لأن المكان مليء بما يسلّي ويلفت الانظار. وسرعان ما وجدت نفسها جزءاً من مجموعة من الشابات والشبان يتدافعون بالقرب من الحوض. وقد انقذ رجلان سويديان جانيت من مغبة السقوط في الحوض. وذهبا برفقتها الى احدى الطاولات لتناول بعض الطعام والشراب. ثم توجه الثلاثة مع آخرين الى مكان منعزل للمشاركة في لعبة الغولف.

تبين بعد شوطين او ثلاثة ان الرجال اقدر في اللعبة من النساء. ولكنّ احداً منهم لم يكن في وارد المنافسة، بل حتى لم يهتموا بقواعد وأصول اللعبة التي تحولت الى مناسبة للتسلية والضحك ورواية النوادر والطرائف. وكانت جانيت على وشك ان تضرب المضرب عندما لمحت وجهاً مألوفاً لديها بالقرب من احدى الموائد. خفق قلبها بشدة، وازداد التوتر الذي رافقها طيلة بعد الظهر... وبدت في عينيها تعابير الفرح الشديد. أرادت ان تترك كل شيء وتنطلق نحوه. لكن زملاءها في اللعبة ألحّوا عليها في البقاء لأن ذهابها سيلغي النتائج. واضطرت للبقاء مرغمة الى ان توجه الجميع نحو موائد الطعام.

قادها احد زملائها في اللعبة الى المائدة، على بعد خطوات من المكان حيث بروس. وقد لاحظت انه يرتدي زياً رسمياً مما اكد

انطباعها بانه كان يعمل. ولكن كل هذا غير مهم الآن فهو موجود في الحفلة وعلى بعد خطوات منها.

لم تتناول شيئاً من صحنها المليء بما لذّ وطاب. ففكرها مشغول بأمور اهمّ، كيف تستطيع ان تبتعد هي وبروس عن هذا الازدحام؟ انها تعرف انه شاهدها... والنظرة التي وجهها اليها الآن جعلت قلبها يزداد خفقاناً واضطراباً.

وباتت متشوقة للحظة التي ينهي فيها بروس حديثه مع المجموعة التي تحيط به، وقد استعدت لاستقباله بالبقاء بعيدة عن زملاء اللعب حيث تكون وحيدة عندما يأتي اليها.

واخيراً لاحظت من طرف خفي ان مجموعة بروس قد ابتعدت عنه. وراحت تعد الثواني بانتظاره وهي تتظاهر بأنها تشارك في احاديث زملاء اللعب وطرفهم، بينما التوتر يستوطن كل خلايا جسمها متوقعة لمسة ذراعه في أي لحظة. استدارت بعد قليل عندما احست بأنها سمعت وقعه، لكنها فوجئت بسيدة عجوز تسألها ان كان من الممكن ان تناولها بعض السمك من المائدة المجاورة لها.

ابتسمت جانيت للعجوز وهي تسملها الصحن، في حين بحثت عيناها عن الشخص الذي تتوقعه. وقد صدمها ان تجد مكان بروس فارغاً، والمحامي الشاب غير موجود في مجال نظرها. تلفتت من جديد بامعان اكثر، ففوجئت به مع مجموعة اخرى في الطرف الآخر من الحديقة.

وأحست جانيت بأن قلبها الذي كان يحلّق عالياً، خانته اجنحته وهوى على الأرض محطماً، ووجدت صعوبة في الاحتفاظ ببسمتها العريضة. ولحسن حظها، اقترب منها احد الاشخاص وراح يلقي على مسامعها النكات والطرائف. جاهدت جانيت للاندماج بالمجموعة المحيطة بها، على الاقل حتى تتدارك المرارة القاسية التي تعتمل في داخلها.

هذا درس قاس لها، وعليها في المستقبل ان تلتزم حدود الأمور

الرسمية فقط. فقد تركت قلبها يسيطر عليها ويكبل عقلها حتى انها تخلت عن فكرة خوض المعركة للحصول على الممر. يا لها من مغفلة لاعتقادها بأن بروس والبروك يمكن ان ينسى الممر حتى ولو للحظة واحدة! لقد اختار ان يعمل هذا اليوم بالذات ليريها انه محام بارع، وان الشيء الوحيد الذي يعنيه هو كسب القضايا لزبائنه. انها تعرف انه كان يراقبها من بعيد، ولكنه ارادها ان تعرف ايضاً ان هذا هو الحد النهائي لها. انضمت جانيت مجدداً الى المجموعة تشاركهم طرائفهم وضحكاتهم وهي تشكر ربها انها لم تظهر تجاهه اي اهتمام على الاطلاق. ومن حسن حظها انها ابقت مشاعرها لنفسها، بحيث تستطيع الآن ان تندمج في حديث متنوع مع الرجل الواقف الى جوارها.

واخيراً انتهى ذلك اليوم بدون ان تدري كيف استطاعت ان تمضي بقية الحفلة في الفيللا. لعلها شاركت في رواية الطرائف، او لعلها ثرثرت كثيراً. المهم بالنسبة اليها كان ان تظهر فرحها وسعادتها حتى تنتهي الحفلة على سلام. وما ان اقلعت السيارات مبتعدة عن الفيللا حتى احست بالتعب الشديد.

وعندما استعدت مجموعتها للانصراف، انتهزت جانيت الفرصة لمغادرة الفيللا بصمت دون ان تلقي نظرة اخيرة على بروس، بالرغم من شعورها بان عينيه لاحقتاها حتى الباب. وفي الخارج وقفت تلوح بيديها مودعة الاصدقاء والزملاء، ثم توجهت نحو البيت بدون ان تترك لنفسها فرصة التفكير في الفشل الذريع الذي اصيبت به اليوم.

كانت جانيت في المطبخ تجهز لنفسها فنجاناً من الشاي، عندما عادت امها من الحفلة وهي تكاد تطير من الفرح والسرور بالرغم من التعب الجسدي الذي حل بها. وعلى الفور راحت تقص على ابنتها كل التفاصيل التي جرت لها في الحفلة دون ان تغفل طبعاً التعريف بالأشخاص الذين التقتهم... واخيراً جلست في مقعدها لتريح

قدميها قليلاً ثم سألت جانيت:

ـ وانت، هل امضيت وقتاً جميلاً؟

اجابت جانيت وهي تخفي مشاعرها خلف ابتسامة مشرقة:

ـ كانت حفلة رائعة!

وجهت السيدة كيندال نظرة متمعنة الى جانيت ثم قالت:

ـ ما رأيت بروس في الحفلة كثيراً، فهل شاهدته انت؟

تشاغلت جانيت بالبحث عن ملاعق الشاي في احد الادراج، ثم قالت محاولة ان يبدو صوتها طبيعياً:

ـ اعتقد انه كان في مكان ما في الحفلة.

وفكرت جانيت ان امها، مثلها تماماً، واقعة في خطأ الاعتقاد بان بروس مهتم بأمور اخرى... غير الممر!

١٠- لا تكرهوا شرا . . .

بات الشاطىء الصغير، الذي ترتاده دائما، مزدحما بالرواد بعد ان وصل الموسم السياحي الى ذروته . ومع ذلك احست جانيت بضرورة الذهاب الى البحر والابتعاد لبعض الوقت عن البيت.

وفي معظم الاحيان كانت تغادر البيت بعد الظهر حاملة معها ادوات البحر وبعض المرطبات في صندوق مثلّج صغير. وفي احدى المرات، وبينما كانت تتجول في الحدائق المجاورة، اكتشفت طريقا زراعيا في الجهة الاخرى من الممر يلتف حول البيت من الجهة اليمنى. والحقيقة ان الطريق كان يمتد الى جبل غير مرتفع مغطى باشجار الصنوبر والسرو. ويدل المكان على ان الجبل مقصود من قبل سكان المنطقة والسياح على حد سواء.

وبما ان الجبل كان الاكثر ارتفاعا في القرية، فقد كانت المناظر المطلّة خلاّبة وساحرة . وعلى قمته قام الاهالي بانشاء نصب تذكاري يعلم الله وحده متى اقيم ولماذا؟ ومن الجهة الاخرى من النصب، ينحدر الجبل بحدّة ليشكل مع تلة مجاورة واديا عميقا وضيقا . وفي اماكن عديدة من الجبل والتلة كانت تبدو المغاور المحفورة بالصخر الكلسي الناصع البياض.

وكثيرا ما امضت جانيت ساعات طويلة في هذه المنطقة، لا يعكر السكون العميق الا صوت عصفور او غناء عندليب . . .

وحدث في احدى المرات، عندما كانت تعبر الطريق متجهة الى الجبل، ان التقت تولو . . . او الاصح كاد ان يصطدم بها . كانت جانيت التقته مرة او مرتين في القرية بعد ذلك اليوم الذي قام فيه بدور المترجم، لكنها تراه الآن للمرة الاولى على الطريق الرئيسي . استطاع تولو ان يوقف سيارته على بعد مسافة قليلة من جانيت، ثم ترجل مسلما عليها، وعلى شفتيه ابتسامة عريضة :

- مرحبا يا جانيت.

ردّت جانيت بابتسامة مشابهة :

- اهلا بك يا تولو!

اسند تولو يده على مقدمة سيارته قائلا :

- هل تريدين ان اوصلك الى المدينة؟

اجابت مبتسمة :

- شكرا لك . لست ذاهبة الى المدينة الآن، بل انا اتمشى قليلا قرب البيت . ثم اضافت بعد لحظات وكأنها تريد فتح حديث معه :

- هل انت ذاهب الى العمل؟

هز رأسه موافقا :

- نعم . فقط لثلاث ساعات، ثم اصبح حرا طيلة النهار .

ترددت جانيت للحظات وهي تفكر . لماذا لا تذهب الى المدينة لتغيير الجو قليلا؟ فباستثناء رحلات التسوق التي تقوم بها مع امها، لم

يحدث ان زارت المدينة بمفردها... وثلاث ساعات من السياحة هناك لن تكون اصعب من التجوال في الجبل.

سألته بهدوء:

- هذا يعني انك ستعود الى البيت فور الانتهاء من العمل؟

رد تولو بحماسة وكأنه قرأ افكارها:

- طبعا... طبعا واذا اردت يمكنني ان اعيدك معي من حيث اخذتك!

قلبت جانيت الفكرة برأسها سريعا. صحيح انها غير مستعدة من حيث الهندام لزيارة المدينة... لكن الموسم موسم سياحة، ومن يهتم بالملابس في مثل هذه الظروف؟ انها تحمل حقيبة يدها التي لا تتخلى عنها ابدا. وليس هناك اي سبب يدعوها الى رفض عرض تولو. بالاضافة الى انها تريد الخروج من الروتين اليومي الذي دأبت عليه مؤخرا. وبدون تردد هزت رأسها موافقة وقالت:

- حسنا يا تولو. هيا بنا الى المدينة!

فتح الاسباني الباب بسرور، لتجلس جانيت على المقعد الذي تمزق قماشه في اكثر من مكان. وسرعان ما اكتشفت جانيت ان تولو سائق مجنون بالسرعة. فقد اخذ يجتاز الطرق بسرعة كبيرة، وراحت جانيت تترحم على رحلات الباص المزعجة. ولولا ان الطريق شبه مهجورة في مثل هذا الوقت من النهار، لكانت سيارة تولو الصغيرة قد واجهت كل السير القادم من الجهة الاخرى... لكن حظها جيد لان معظم الناس لا يسافرون في هذا الحر اللاهب. ومما اشعر جانيت بالاطمئنان الى حد ما، ان تولو تعود استعمال هذا الطريق يوميا، ذهابا وايابا.

كانت المدينة في قيلولة الظهر عندما وصلا اليها. فالحوانيت مغلقة، والمقاهي مهجورة، والسياح اما قابعون في فنادقهم اتقاء لاشعة الشمس واما يبردون على الشواطىء الرملية القريبة سعيا وراء الانتعاش واللون البرونزي.

قاد تولو سيارته وسط شوارع المدينة بعناية وحذر، خاصة وان رجال شرطة السير كانوا موزعين في كل مكان واخيرا وصل الى مكان عمله في الفندق الذي يقع على الجهة اليمنى من الساحة الرئيسية، واضطر الى ايقاف سيارته بعيدا بسبب زحمة مواقف السيارات... ثم دعا جانيت الى شراب مرطب بعد عناء الرحلة الطويلة.

وبما انها لم تكن تفكر بعمل شيء محدد الآن، فقد وافقت جانيت على الفكرة ودلفت معه الى الفندق حيث يقوم مقهى مكشوف تغطي طاولاته شمسيات ضخمة ملونة. انهت شرابها، توجهت الى ردهة الاستقبال لرؤية تولو وهو يعمل. كان منهمكا في تقليب مجموعة من الشيكات السياحية والفواتير وعملات مختلفة اخرى.

اقتربت منه واودعت عنده الثلاجة الصغيرة، وابقت معها حقيبة يدها، ثم اتفقت على ان يلتقيا عند طرف الساحة بعد ان ينتهي دوام عمله في الفندق. لم تكن تفكر كيف ستمضي هذه الساعات القليلة لكن لا شيء يمنع من ان تتمشى في الشوارع الرئيسية لمشاهدة معروضات المحلات ودور الازياء حتى يحين موعد عودتها الى البيت.

سارت جانيت على غير هدى وقتا غير قصير الى ان انهكها التعب والعطش، لذلك قررت العودة الى الساحة وانتظار تولو في احد مقاهي الرصيف. وعندما وصلت الى هناك ادهشها التغيير الذي شاهدته، فقد ازدحم المكان بالناس وملأ الضجيج الساحة التي كانت نائمة قبل ساعات قليلة.

امتلأت المقاهي برجال الاعمال الذين كانوا ينجزون قضاياهم السريعة حول كؤوس المرطبات وفناجين القهوة. وفي الساحة نفسها تجمع عدد من الاطفال وراحوا يتسلقون الاشجار الكثيفة الاغصان، وقد طغى على الجو كله خليط من اصوات الباعة واحاديث رواد المقهى وثرثرات العجائز اللواتي توزعن على مقاعد الارصفة العامة.

وصلت جانيت الى المكان المحدد متأخرة عدة دقائق، فوجدت ان تولو اوقف سيارته في مكان تسهل رؤيته. ويظهر انه استأخرها

قليلا، لذلك ترك السيارة هناك وعاد الى الفندق لامور عاجلة. القت جانيت نظرة فاحصة على الفندق فوجدته غاصا بالسياح، لذلك فضلت الانتظار قرب السيارة ريثما يعود تولو.

وبعد عدة دقائق لمحت تولو يشق طريقه وسط الساحة المزدحمة متجها صوبها، لم يكن وحده، بل كان برفقة عدد من الشبان الذي يبدو انهم يعملون معه في الفندق. وعندما وصل الشبان الى السيارة تحلقوا حولها وراحوا يطلقون العبارات التي تسخر من تولو وسيارته العتيقة. وبينما جانيت تنتظر وسط الصخب والضحكات العالية بانتظار ذهاب الشبان في حال سبيلهم، اذا بقلبها يخفق خفقات سريعة عندما لمحت من بين الزحام بروس والبروك حاملا حقيبة يده وسائرا باتجاه سيارته المتوقفة قرب الرصيف المقابل. وعلى الفور تذكرت ان مكتب المحاماة الخاص به يقع في هذه المدينة بالذات. وسرعان ما لاحظت ان نظراته الزرقاء الحادة مركزة عليها، فاستدارت مضطربة.

كيف سيبدو الامر وهي في ملابسها القديمة العادية الى جانب تولو في سيارته القديمة المهلهلة وسط مجموعة من الشبان اللاهين الضاحكين؟ لم تجرؤ جانيت على مجرد التفكير بالامر، بل حاولت التهوين على نفسها بالقول انها حرة في تمضية وقتها كيفما تشاء... لذلك انخرطت في الضحك مع الشبان الاسبانيين واندمجت معهم في المزاح واطلاق النكات.

واخيرا استطاع تولو الانسحاب من شلته اللاهية، ودخل هو وجانيت السيارة استعدادا للعودة الى البيت. وقد عمدت جانيت للتشاغل بالحديث مع تولو كي لا تلتفت الى العينين الزرقاوين اللتين كانت تحدقان بها عندما اقلعت السيارة العتيقة باتجاه مخرج الساحة.

وكالعادة، قاد تولو سيارته بسرعة جنونية في قلب المدينة. واكثر من مرة اعتقدت جانيت ان رجال شرطة السير سيوقفونه عند حده من جراء المخالفات العديدة التي ارتكبها... ولكنها لاحظت ان

معظم السائقين هنا يقودون سياراتهم بالطريقة الجنونية نفسها.

ولم تدر جانيت هل تشعر بالراحة او بالحزن عندما خرجت السيارة من حدود المدينة وسارت باتجاه سان غبرييل. وفي هذه الاثناء كان تولو يحدثها عن ساعات العمل التي امضاها في الفندق بعد الظهر وخوفا من ان يفقد السيطرة على السيارة، راحت جانيت تستمع الى كلماته بابتسامة صامتة.

كان الاثنان قد قطعا مسافة طويلة من الطريق عندما القت جانيت نظرها الى الخلف بواسطة المرآة الموضوعة امامها. وفوجئت عندما رأت السيارة التي تسير غير بعيدة عن سيارة تولو.

امتلأت عينا جانيت بالسرور والارتياح لمرأى سيارة بروس فقد اكتشفت ان المحامي العنيد لحق بها فور مغادرة سيارة تولو الساحة. ولا شك انه اضطر الى المخالفة وتجاوز الاشارات الضوئية الحمراء للحاق بتولو المجنون. وعلى الرغم من انهما كانا يسيران بسرعة كبيرة، الا ان السيارة الزرقاء ظلت على مسافة قريبة منها بدون ان يحاول سائقها التجاوز.

لم يكن تولو منتبها لوجود سيارة بروس خلفه. فهو من هواة عدم النظر في المرآة لمعرفة اوضاع السير خلفه. لذلك تركته جانيت بسرعته الجنونية وعمدت الى تجاهل الشخص الذي يلاحقها... في كل حال، لماذا هي مهتمة الى هذا الحد بملاحقة بروس لها؟

كانت جانيت قد اتفقت مع تولو على ان ينزلها في المنطقة نفسها حيث اخذت عند الظهر. وعندما توقفت سيارته على حافة الطريق، تعمدت جانيت اطالة الحديث معه الى ان تجاوزتهما السيارة الزرقاء واختفت في الزقاق المؤدي الى الفيللا.

تظاهرت جانيت بانها لم تلمح السيارة ابدا وظلت غارقة في الحديث مع تولو، الذي اعلمها ان دوام عمله طيلة الاسابيع المقبلة سيكون ساعتين عند الصباح وثلاث ساعات بعد الظهر.

قال لها قبل ان يودعها:

- غدا يوم عطلتي. لكني استطيع اصطحابك معي اذا اردت في الوقت نفسه بعد غد.

فكرت جانيت في العرض قليلا. صحيح انها لم تجد شيئا غير اعتيادي في المدينة، لكن لا شيء يمنع من تغيير الجو يوما بعد يوم.

شكرته ضاحكة:

- لا بأس بذلك. سانتظرك هنا في الموعد نفسه!

ودعته بحرارة، ووقفت الى جانب الطريق محاذرة الغبار الذي اثارته السيارة عند اقلاعها الجنوني.

وفي طريقها الى البيت، فكرت انه من الافضل الا تخبر امها عن خططها للايام القليلة المقبلة. فالسيدة كيندال ستشعر بالقلق لان ابنتها تذهب الى المدينة مع سائق ارعن وفي سيارة فانية.

وعندما دخلت جانيت الممر المؤدي الى البيت لمحت السيارة الزرقاء متوقفة امام باب الفيللا . . .

واخيرا اختفت داخل البيت وهي تشعر بالراحة لاشياء كثيرة فعلتها اليوم.

وفي يوم موعدها مع تولو، كان من الضروري ان تحافظ على المظاهر الخارجية للنزهة الجبلية المعتادة، لذلك ارتدت قميصا قطنيا عاديا وجهزت معدات النزهة كما في كل يوم.

وصلت جانيت الى طرف الطريق الزراعي قبل دقائق من موعد مرور تولو، ووقفت تنتظر مجيء السيارة المهلهلة وخلفها عاصفة من الغبار. لكنها اضطرت بعد دقائق ان تلجأ الى ظل شجرة هربا من الشمس الحادة خاصة وان تولو تأخر عن موعده. وانتظرت جانيت اكثر وهي تتساءل عن سبب تأخر تولو، بدون ان ترفع عينيها عن الطريق الذي يظهر امامها بوضوح ابتداء من طرف القرية.

ظلت جانيت تترقب وصول تولو لمدة ربع ساعة أخرى لعل عوائق غير متوقعة أخرت مجيئه. واخيرا حملت معدات النزهة وقصدت قمة

الجبل لتمضية بعد الظهر هناك. فالامر سيان عندها، سواء رافقت تولو الى المدينة او تمتعت بالمناظر الطبيعية التي يطل عليها الجبل. . . المهم ان تمضي وقتها بعيدا عن البيت.

وفي اليوم التالي تعمدت ان تأتي الى المكان الموعود قبل عشرين دقيقة من الموعد، لتتأكد من انها في الوقت المناسب. ومرة اخرى وجدت نفسها تنتظر، بينما مرت الدقائق بطيئة مملة بدون ان يظهر اثر لسيارة تولو.

وراحت جانيت تتساءل في نفسها عما حل بتولو فحتى لو كان قد نسي وعده لها، لا بد وان يمر عبر هذا الطريق متجها الى المدينة. لكن هناك طريقا فرعيا يربط القرية بالطريق الرئيسي بدون ان يمر من خلال الجبل. . . لماذا لا يستعمل تولو ذلك الطريق؟. واخيرا توجهت الى الجبل بعد ما قررت ان تثير الامر معه عندما تراه في المرة المقبلة.

وسرعان ما جاءت المرة المقبلة في مساء اليوم نفسه. اذ اعتاد اهل القرية الاختفاء في منازلهم خوفا من الشمس، ثم الانطلاق مساء عندما تدب الحياة في كل انحاء المنطقة وكان النوم لا يعرف طريقه الى العيون.

كانت جانيت قد اعتادت هذه الحقيقة، بل اصبحت جزءا منها، لانها تولت منذ مجيئها الى الجزيرة الذهاب الى سان غبرييل لاحضار البريد اليومي. وحدث هذا المساء ان شاهدت تولو مع جمع من الشبان، فور خروجها من مكتب البريد المحلي.

لم يبد على تولو الانزعاج لرؤيتها، بل توجه نحوها وعلى وجهه الابتسامة التي لا تغيب ابدا. ردت جانيت باحسن منها، ثم رفعت احد حاجبيها قائلة:

- ماذا حدث لك هذا اليوم وامس؟ كنت اعتقد انك ستقلني معك الى المدينة؟

هز تولو كتفيه بهدوء وقال:

- آه. . . انا متأسف، لم يكن ذلك ممكنا!

ابتسمت جانيت وقالت:

- لا بأس بذلك.

ثم التفتت الى سيارته المتوقفة في الساحة، واضافت:

- لكن سيارتك غير معطلة، اليس كذلك؟

بدا الاضطراب على تولو، وغابت الابتسامة عن شفتيه وهو يقول معترفا:

- السيد في الفيللا هددني.

ثم اشار باصابعه على عنقه اشارة على الذبح!

للوهلة الاولى لم تفهم جانيت معنى كلمات واشارة تولو. لذلك نظرت اليه بدهشة وسألته:

- لكنني لا افهم... لماذا يتدخل هذا السيد بالامر؟

وجاءها الجواب المفاجيء:

- انه المحامي الذي يقود السيارة السريعة يوميا الى المدينة.

انه بروس! وعلى الفور ادركت جانيت كل القصة، لكنها سألته بغضب:

- حسنا، ماذا قال لك؟

طأطأ تولو رأسه حرجا، ثم اجاب:

- قال لي بوضوح انه سيدق عنقي اذا اقدمت على اخذك مرة اخرى الى المدينة.

انفجرت جانيت غاضبة واحتقن وجهها بالدم وهي تقول:

- يا لهذا الاسلوب الفظ!

ثم قالت للشاب الاسباني المحرج:

- عليك ان تعرف يا تولو ان شيئا لا يربطني بهذا المحامي الانكليزي بروس والبروك. وهو غير معني على الاطلاق برغبتي في مرافقتك الى المدينة.

ثم اضافت بتحد وغضب:

- اريدك ان ترافقني غدا، اذا كنت مستعدا.

رد تولو وقد اربكه الموقف:

- حسنا، لكن ماذا اقول للمحامي اذا قصدني في القرية مرة اخرى؟

اجابته جانيت بقسوة:

- يمكنك ان تبلغه عن لساني ان الامر لا يعنيه ابدا.

ثم خففت من لهجتها القاسية وهي تودع تولو. وعند المنعطف التفتت اليه مجددا وصرخت:

- اراك غدا بعد الظهر في المكان نفسه.

لم يطل انتظار جانيت في اليوم التالي اذ سرعان ما اطلت سيارة تولو ترافقها عاصفة من الغبار الكثيف. فتح لها الباب دون ان يغادر مقعده، فجلست الى جانبه بصمت... ثم اقلعا باتجاه المدينة.

وصلا الى المدينة في الوقت المحدد، فتركها تولو متجها الى عمله، في حين اتخذت هي احد المقاعد في مقهى رصيف يطل على الساحة وراحت تتصفح مجلة نسائية قديمة. بعد ذلك امضت حوالي نصف ساعة تتجول امام واجهات المحلات. احست جانيت بالتعب والحرارة بعد ان انهت جولتها. ولم يساعدها انتظار تولو على التخلص من احاسيسها تلك. لذلك عرضت عليه عندما وصل اخيرا ان يتناولا كأسا من المرطبات لانها تكاد تموت عطشا... وبالطبع لم يمانع الاسباني الشاب. وحول كأسين من عصير الليمون، راحا يتأملان الناس والوجوه والسيارات في تلك الساحة المزدحمة. ومن حيث لا تدري، شاهدت جانيت مجموعة الشبان الذين تحلقوا قبل ايام حول سيارة تولو، وهم يتوجهون الى المقهى مثيرين الجو الاحتفالي نفسه الذي اثاروه من قبل. ولم تكن جانيت مهتمة بوجود تولو والشلة، فعيناها، منذ جلست في المقهى، تبحثان عن شخص محدد وسط الزحام والوجوه المختلفة. كانت مشاعرها متضاربة، فهي خائفة من رؤية بروس لها ومن ناحية اخرى تريد ان يرى كيف تتحداه في هذه المسألة بالذات. وبينما هي تدلف الى سيارة تولو بعد رحيل الشلة على وشك ان تفقد الامل برؤية بروس، اذا بها تفاجأ به

على بعد امتار قليلة منها.

ولم تتمكن جانيت من معرفة الاشخاص الذين كان بروس معهم، الا انها متأكدة انه لم يسحب نظره الحاد عنها. وحتى من هذه المسافة، كان من الواضح ان الغضب يلتمع في عينيه الزرقاوين الباردتين. وامعانا في التحدي، اندمجت جانيت في الضحك مع تولو... مما يؤسف له ان بروس لا يحب ان يراها برفقة احد، لكنها تحب ذلك وستستمر فيه!

وكم كانت راحتها كبيرة عندما انهى مرافقها الاسباني استعداداته، واطلق العنان لسيارته في شوارع المدينة المزدحمة عائدا الى القرية. وكما توقعت ما ان وصلا الى ضواحي سان غبرييل حتى ظهرت السيارة الزرقاء خلفهما تماما. كانت متأكدة ان تولو لم يلمحها، فهو غير مهتم بالطريق الذي اجتازه بل بالمسافة الباقية امامه.

ظلت السيارة الفاخرة خلفهما تماما بدون ان تحاول تجاوزهما مع انها قادرة على ذلك بسهولة. وبعد قليل بدأت جانيت تحس بان بروس يقود سيارته على اعصابها، لذلك طلبت من تولو ان ينعطف في ممر فرعي ويتوقف للحظات بحجة انها تريد بعض الهواء النقي... وكم كانت راحتها كبيرة عندما رأت السيارة الاخرى تواصل طريقها باتجاه الفيللا.

ولشدة استغرابها، أحست جانيت ان اعصابها ما زالت متوترة ومتعبة... ومع ذلك تواعدت على لقاء تولو في اليوم التالي ايضا. وطيلة المساء ظلت تفكر في ما سيكون عليه رد فعل بروس تجاه تولو. هل تراه يتوجه الى القرية لمعاقبته على عصيانه امره؟ مهما كان الموقف، فان تولو لم يظهر اي تغيير في اليوم التالي. وفكرت جانيت بانه ابلغ بروس الرسالة التي كلفته بنقلها، وتوقعت ان تولو كان صلبا مثلها تماما.

وهكذا مرّت الايام، وبات من المعتاد ان تذهب جانيت وتولو بعد كل ظهر الى المدينة، ويعودان الى القرية عند العصر تقريبا. وقد

كانت جانيت تلاحظ ان العينين الزرقاوين تراقبانها دائما... لكنها حاولت ان تقنع نفسها بان صاحبها هو مجرد شخص بين آلاف الاشخاص في المدينة.

كما اعتادت جانيت على رؤية سيارته ترافقهما كظلهما في طريق العودة الى البيت... بل ولاحظت في بعض المرات ان بروس كان يحاول مجاورة سيارة تولو عند المنعطفات الواسعة.

كانت تعتقد في احيان كثيرة ان خيالها يزين لها هذه التصورات، خاصة وان اعصابها صارت متعبة للغاية اخيرا. وعلى عكس ما توقعت باتت الرحلات اليومية الى المدينة تزيدها توترا واحتراقا. ومع ان التظاهر بقضاء وقت ممتع من اجل تحدّي بروس كان يعطيها بعض الارتياح، لكن ان تراه يوميا فهذا فوق الاحتمال. ولم تعد تدري الى متى ستظل قادرة على ممارسة هذه اللعبة الخطيرة جدا.

والغريب ان ملامح وجه بروس كانت تشير الى انه يمر بالحالة نفسها المتوترة التي تمر بها جانيت. وفجأة حدث امر غير متوقع اوصل الامور الى نقطة الصفر. والسبب في ذلك قيادة تولو المجنونة قبل كيلومترات قليلة من سان غبرييل.

كانت جانيت مسترخية في مقعدها تستمع الى تعليقات تولو على فيلم سينمائي شاهده بالامس، وقد دبّ الحماس في عروقه وباتت السيارة بين يديه الحصان الفائز الذي كان يمتطيه بطل الفيلم. وفي محاولة لاخفاء خوفها من القيادة المجنونة، ركزت جانيت كل انتباهها على التفاصيل التي كان يرويها تولو.

وعند المنعطف الضيق حدثت المفاجأة. فقد فوجئا بوجود عربة نقل يجرها حصانان تحتل القسم الاكبر من الطريق. وبما ان سرعة توللو كانت عالية جدا، فقد عجز عن كبح السيارة او حتى تجاوز العربة امامه... وهكذا وجدت جانيت نفسها في سيارة عجز صاحبها عن ايقافها، فانحرفت عن الطريق وراحت تصطدم بالنباتات والاعشاب والصخور... ولحسن الحظ لم تنقلب السيارة،

بل انحرفت عدة مرات قبل ان تتوقف بمحاذاة جذع شجرة كبيرة على طرف الطريق، بل ابتسم بغرور لانه استطاع تجاوز العربة بدون ان يصطدم بها وتركها خلفه بمئات الامتار. لكن جانيت لم تشعر مثله ابدا، فهي تعرف ان الحظ وحده جنبها الوقوع في حادث خطير للغاية.

وعاد الى ذهن جانيت صوت الفرامل الحاد قبل ان تنحرف السيارة وفكرت ان بروس الذي كان يتبعها عن كثب لا بد أنه سمع الصوت وشاهد الحادث... ولا شك انه الآن خلف العربة لانه ليس مجنونا مثل تولو ليقدم على تجاوزها بالشكل الذي فعله الاسباني الشاب.

تنفست جانيت بعمق وارتياح عندما وصلت الى البيت قبل ان يلحقها بروس. وما ان توقفت السيارة قرب الطريق الزراعي، حتى غادرتها جانيت وهي تحس بضعف عام في قدميها. وبعد ان ودعت تولو، توجهت الى البيت باسرع ما يمكن ان تسمح لها قدماها المرتجفتان.

عند بداية الممر سمعت صوت محرك سيارة بروس يزأر خلفها. كانت قد وصلت الى مدخل البيت. طغى صوت الفرامل على كل شيء، لكنها واصلت سيرها نحو الحديقة الداخلية. احست بوقع اقدام صلبة وقاسية تتبعها. لم تلتفت، لكن خفقات قلبها ازدادت وهي تسرع الى الداخل، هاربة الى امها التي كانت تعد الطعام في المطبخ... ومع ذلك ظلت الاقدام تلاحقها، فقالت لامها بانها ستذهب لجمع البيض من الكوخ... وغادرت المطبخ تاركة السيدة كيندال في دهشة من امرها.

لم تدر جانيت كيف عبرت الحديقة الخلفية. لا شك ان توترها العصبي جعلها تقطع المسافة بسرعة، خاصة وانها ما زالت تسمع وقع الاقدام خلفها. وعندما وصلت الى الكوخ انحنت تبحث عن البيض دون ان تحاول جمعه لئلا تفضحها اصابعها المرتجفة... ثم

وقفت تتظاهر بتأمل مناظر الطبيعة، بينما كان وقع الاقدام يقترب منها.

وبدون مقدمات قال لها بروس بعصبية:

- اذا كنت تخططين لمرافقة تولو في سيارته المهلهلة مرة اخرى، فالافضل لك ان تنسي الموضوع!

ردت جانيت بحدة:

- ومنذ متى يحق للناس ان يقرروا عني ما يجب ان لا افعل.

خفق قلب جانيت بشدة عندما لاحظت انها لم تكن وحدها المضطربة والمرتجفة، بل ان وجه بروس اظهر توترا شديدا بدا واضحا من خلال اللون الاصفر الذي طغى على ملامحه القاسية. وفي محاولة لاخفاء مشاعرها، اضافت بخفة:

- يا للمصادفة، فانا ذاهبة الى المدينة غدا... وانتظر رفقة تولو بفارغ الصبر.

تقدم بروس عدة خطوات تجاهها، فتوقعت انه سيضربها او على الاقل يهزها بعنف، لكنه قال بهدوء ولطف:

- انت تعرفين ان الحادث الذي تعرضت له قبل قليل كان يمكن ان يؤدي بك الى التهلكة؟

شاهدت جانيت ما يشبه شرارات الغضب في عينيه، فواجهته بحدة وقالت:

- لكننا لم نفعل، في كل حال لست ادري ما علاقتك بشؤوني الخاصة؟

- لانك ايتها الغبية الصغيرة...

لم يكمل بروس كلامه بل امسك بها بقبضتيه القويتين، فاحست باصابعه تغرق في لحم ذراعها... وقبل ان تطلق صرخة الم، كان قد غيبها بين ذراعيه بحنان. للوهلة الاولى شعرت جانيت بالاضطراب من هذه الخطوة المفاجئة، لكنها سرعان ما تجاوبت بدون ارادة وهي تتمنى ان يتوقف الزمن عن الدوران.

وفجأة ادركت ان يديها احاطتا بعنق بروس بحنان ومحبة، فاندفعت بعيدة عنه وقد علت الحمرة وجهها كله. وظلت للحظات تحاول استجماع اعصابها قبل ان تقول:

- اعتقد انه من الضروري ان اعود الى البيت الآن.

راقبها بروس وهي ترحل. ولعله اكتشف شيئا خاصا به جعله يبتسم ويمسك سلة البيض قائلا:

- لا تنسي البيض الذي جئت من اجله.

اخذت جانيت السلة من يده وطارت عائدة الى البيت، في حين ظل صوت وقع اقدام بروس يتردد خلفها ببطء وهدوء.

كانت السيدة كيندال تقف عند الباب الخلفي وآثار المطبخ ما تزال بادية عليها، بعد ان تركت عملها في المطبخ لمعرفة سبب ملاحقة بروس لابنتها وهرب جانيت منه. والآن اخذت الابتسامات ذات المعاني الكثيرة تحتل قسمات وجهها بدلا من علامات التعجب التي كانت هناك قبل قليل. وعندما شاهدت جانيت تعود الى البيت، ارتسمت على وجهها ابتسامة كبيرة، ولم تستطع ان تعبر عن شعورها تجاه ما حدث قرب الكوخ الا بكلمة واحدة:

- هكذا اذن؟

ارتبكت جانيت امام نظرات امها المتمعنة وردّت بحياء:

- أرجوك يا امي...

ثم انطلقت هاربة الى غرفة نومها. لم تكن تسير بل كانت تحلّق على بساط سحري يرقص على موسيقى ساحرة تعزف في قلبها.

لقد عانقها فعلا... بروس والبروك عانقها فعلا، وبحرارة واضحة.

١١ - لن أراك أبداً!

آب (أغسطس) هو شهر الراحة في جزيرة ايبيزا. وبسبب ارتفاع درجة الحرارة توقفت الحفلات في الفيلا حتى اشعار آخر. واصبحت العادة أن يتوجه الجميع في الامسيات الباردة الى أية قرية تقيم احتفالاً خاصاً بها... ولم يكن صعبا الاندماج مع الاهالي الذين كانوا يرحبون بكل السياح والمصطافين.

كانت القرية الاسبانية تتزيّن بالاعلام وأقواس النصر استعداداً للاحتفال في حين تعزف الموسيقى الاغاني الشعبية الراقصة، وكانت الساحة الرئيسية مرتعاً لكل الناس من الراقصين أو المغنين او المتفرجين. والى مثل هذه القرى كان السيد والسيدة فورد يتوجهان لقضاء الامسيات برفقة عدد محدود من الاصدقاء. وقد رافقتها

السيدة كيندال مرة أو مرتين في هذه السهرات.

وفي اليوم التالي لحادثة الكوخ، عادت جانيت من رحلتها المعتادة الى القرية لتجد أمها امام البيت تنتظرها على أحرّ من الجمر.

قالت الأم بابتسامة ماكرة:

- جاء بروس وأنت في القرية، لكنه اضطر للذهاب بسرعة الى المدينة. وقد ترك لنا دعوة للانضمام الى السيد والسيدة فورد اللذين يريدان الذهاب الى حفلة هذا المساء.

خفق قلب جانيت بشدة، فقد قصد بروس البيت ولكنها لم تكن موجودة لاستقباله. كانت تعرف أن خجلها سيمنعها من النظر مباشرة الى عينيه عندما تراه. واستقبلت جانيت أخبار الدعوة بمشاعر متضاربة. هل سيكون بروس موجوداً؟ بالطبع، والاّلما جاء يوجه الدعوة بنفسه!

ولكن افكارها هذه لم تنقذها طيلة النهار من تقليب الامور على أوجهها المختلفة. وعندما حلّ المساء، امتزج شوقها للحفلة بخوفها من أن يتخلّف بروس عن هذه السهرة. انهت جانيت استحمامها وارتدت الفستان الابيض الحريري الذي كانت ترتديه عندما أخذها بروس لزيارة حديقة الدون ايغنازيو. كان شعرها نائماً متمايلاً ويلامس وجنتيها البرونزيتين اللتين وضعت عليهما بعض الماكياج الخفيف. ثم انهت استعداداتها بقليل من العطر الخاص بها...

وشعرت بالارتياح الشديد لأن ملابسها أظهرت انوثتها بعد أيام طويلة من ارتداء الجينز والقمصان القطنية البيضاء! وعند حلول الظلام بدأت سيارات اصدقاء السيد فورد بالتجمع قرب الفيللا استعداداً للسير في موكب واحد الى القرية. وعندما خرجت جانيت وأمها من باب البيت، أحست بقلبها يغوص بين اضلعها اذ رأت سيارة بيضاء فاخرة غاصة بالركاب تنتظرهما لأخذهما الى الحفلة.

ومع ذلك اندمجت مع ركاب السيارة المتضاحكين وهي تحاول أن تقنع نفسها بأن بروس رجل مشغول جداً وربما اضطرته بعض الظروف

الطارئة الى التأخر قليلاً.

كانت الساحة تغص بالناس والنشاطات عندما وصل الموكب الساهر اليها.

فالالعاب النارية تغطي السماء بألف شكل ولون في حين تجمهر أهل القرية صغاراً وكباراً في حلقات مختلفة الاحجام وعيونهم شاخصة الى السماء الصافية. أما السيّاح فقد اندمجوا مع السكان بدون أية صعوبات على الاطلاق.

قاد موكب آل فورد السيارات الى جانب منعزل من الساحة وتوقف بالقرب من منصة خشبية عالية احتلت نصف الساحة وخصصت للرقص على أنواعه. وفي أحد اطراف المنصة جلس افراد فرقة موسيقية محلية يعزفون لمجموعة من الشبان والشابات. لكن أهم ما ستشهده المنصة هذا المساء هو احتفال الرقص الشعبي الذي تقدمه فرقة فولكلورية محترفة.

وعلى الرغم من أن الساحة مليئة بالمقاعد المتراصة، الاّ أن شلة آل فورد اتجهت الى مقهى مطلّ على الساحة، حيث أعدت لهم زاوية خاصة. وتعمدت جانيت أن تجلس في طرف المقهى لكي تستطيع متابعة ما يجري في الساحة من نشاطات، أما امها فقد احتلت مقعداً مجاوراً لمقعد السيدة فورد وغرقت معها في احاديث لا تنتهي.

كان فرانسيسكو من ضمن الشلة. ومع أن جانيت كانت تراه من حين لآخر قرب الفيللا وتلوّح له من بعيد، الاّ أن علاقتهما الحميمة التي نشأت في مطلع الصيف أصبحت شيئاً من الماضي الآن. وما ان استقر الجميع، حتى انضم فرانسيسكو اليها ليخبرها بأن سانتا مارغاريتا هي مسقط رأسه... وأخبرها ايضاً أنه يعرف كل من في الساحة، بل ان سكان القرية كلهم اقرباؤه، خاصة اولئك الذين اقتربوا من المقهى ليسلموا عليه بحرارة وشوق. وبعد دقائق معدودة اعتذر فرانسيسكو وغادرها لينضم الى مجموعة من الشبان قرب منصة الرقص.

راقبت جانيت مجموعة الشبان الراقصين وهي تشعر بالفراغ الداخلي الكبير. . .

كانت تعرف منذ البداية أنها لن تكون في مزاج جيّد هذا المساء. كان من المفروض أن تنضم الى شلة الفيللا في لهوهم وطرائفهم والعابهم.

لكن نظرها ظلّ مشدوداً الى حيث توقفت السيارات الفاخرة تحت الأشجار الكثيفة الاغصان. وبدأت تشعر بأنها ستخرج من هذه السهرة صفر اليدين. . . وفجأة اطلّت السيارة الزرقاء الداكنة باحثة عن مكان لتتوقف فيه. ولم ينتبه أحد غيرها الى الرجل الرشيق الانيق الذي خرج من السيارة ثم اغلقها، واتجه صوب المقهى المزدحم بالرواد. وظلّت عينا جانيت تلاحقانه وهو يقترب من الطاولة الخاصة ثم يسلم على السيد والسيدة فورد وآخرين من اعضاء الشلة. . . كانت مشيته الواثقة وحركاته الرصينة وابتسامته العذبة تترك بصماتها السحرية على قلب جانيت الذي كاد يخرج من صدرها.

توقف بروس للحظات مع بعض الاصدقاء، ثم طلب كوباً من العصير البارد قبل ان يتابع سيره باتجاه جانيت، التي ما ان رأته مقبلا حتى حولت عينيها الى الساحة وانفاسها تكاد تتقطع.

عرفت أن بروس أصبح خلفها، فشعرت على الفور بأن قدميها غير قادرتين على حملها، وأن نبضاتها تسارعت بشكل جنوني. . . ثم لامست يده ذراعها وأدارها نحوه، وعلى الفور حلت السكينة في نفسها. ومع أنهما وقفا يراقبان حلقات الرقص التي تتسع لحظة بعد اخرى الاّ أن جانيت لم تكن ترى إلاّ سعادتها الخاصة طاغية على كل شيء. وبالطبع لم يكن حال بروس بأفضل من حالها، اذ وقف الى جانبها واضعاً رأسها على كتفه وسرح في البعيد البعيد.

بعد دقائق معدودة همس في اذنها قائلا:

ـ هناك مكان جميل أريدك ان تريه، فهل عندك مانع؟.

هزت جانيت رأسها موافقة، وسارت معه بعيداً عن الساحة

وصخبها. وما هي الاّ لحظات قليلة حتى كانا معاً في سيارته الداكنة يغادران ساحة مارغاريتا متوجهين الى ظلمة الريف في ذلك المساء الساحر.

ولم يطل الامر حتى بدت أمامهما اضواء خافتة، وسرعان ما ظهر الشاطىء بوضوح، وبالقرب منه مبانٍ متفرقة تشعشع فيها الانوار. أحد هذه المباني كان فندقاً حديثاً يضم مرقصاً ومقهى وبركة سباحة، والى هناك توجه بروس وجانيت. وبعد راحة قصيرة في المقهى قاما الى الرقص على انغام اغنية عاطفية هادئة تغنيها فرقة اسبانية مختلطة.

شعرت جانيت أن السعادة تحيط بها من كل جانب وهي تراقص بروس في الحلبة وكانت تتصرف كأنها تعرفه منذ زمن بعيد، حتى أنها فقدت الاحساس بالوقت، ولم تدر إلاّ وهو يقودها باتجاه الشاطىء الرملي الحالم. وهناك، حيث لا احد على الاطلاق، وقفا يداً بيد يتأملان حركة الموج الازلية ويرقبان النجوم التي ازدادت تألقاً وكأنها تشاركهما سعادتهما الطاغية. وسط هذه الطبيعة الساحرة، أحاط بروس خصرها بذراعيه القويتين وغيّبها في عناق طويل ورائع.

أحست جانيت أن الدنيا كلها ترقص، والزمن توقف عن الدوران، وأن الحياة مجرّد لحظات تقضيها مع هذا الرجل الجذاب. لكن صوته اعادها الى دنيا الواقع قائلا:

ـ الافضل أن نعود الى الشلة الآن، فلا شك أنهم يستعدون لمغادرة القرية في مثل هذا الوقت!

اذعنت جانيت بهدوء وسارت معه عائدة الى الفندق ومن هناك الى السيارة.

وعندما وصلا الى ساحة سانتا مارغاريتا، كان المكان ما يزال مزدحما بالساهرين والراقصين. فالالعاب النارية والرقصات الشعبية ستستمرّ حتى الثانية او الثالثة بعد منتصف الليل. . . ولكن، كما توقع بروس، كانت شلة الفيللا تعد نفسها للعودة.

ولاحظت جانيت بارتياح أن المجموعة انقسمت الى مجموعات، كل

منها منهمكة في نشاط ما، وهذا يعني أن احداً لم يلحظ غيابها هي وبروس.

وفور وصولها الى المقهى، وجد بروس نفسه منشغلاً بمساعدة السيد فورد على اصلاح الكاميرا السينمائية التي استعملها لتصوير الحفلات، في حين انضمت جانيت اليها وعدد من النسوة الأخريات اللواتي كن رفيقات الطريق هذا المساء. واخيراً، غادرت المجموعة المقهى، على أن يعود كل شخص في السيارة التي اقلته الى السهرة. واضطر بروس الى أخذ عدد من الاشخاص بسيارته، اما جانيت فقد احتلت مقعدها في السيارة البيضاء الفاخرة والدنيا لا تكاد تسعها من الفرح والسعادة.

ومع أنها تظاهرت بالاصغاء الى احاديث رفقة الطريق ومن بينهم امها، الا أن شيئاً لم يسرق منها أحلامها الوردية التي صورتها هي وبروس في عناقهما.

استيقظت جانيت في صباح اليوم التالي وهي تشعر بالانزعاج لأن اليوم هو موعد رحلة التسوّق الاسبوعية التي تقوم بها امها الى مدينة ابيزا. فهي لم تكن راغبة في تمضية وقتها أمام محلات بيع السمك والخضار واللحوم. لكنها تعرف أن أمها تحب رفقتها الى السوق وترغب بوجودها معها كي تساعدها في حمل الاكياس والاغراض.

وعلى طاولة الافطار، تحدثتا عما سترتديانه في رحلتهما الى المدينة.

فلقد اصبح ايلول (سبتمبر) على الابواب، وهذا يعني أن الطقس بات غير ثابت. بعد الافطار بقليل أخذت جانيت الكلب «دال» في نزهة قصيرة كي لا يشعر بالوحدة عندما تتركانه ظهراً.

اعدت السيدة كيندال غداء خفيفاً، ثم أخذت وابنتها بعضاً من الراحة قبل أن تتجها الى المحطة لأخذ الباص الى المدينة. وعند الباب الخارجي ترددت جانيت قليلا عندما شاهدت سيارة بروس متوقفة أمام الفيلا، لكن امها حثتها على السرعة كي لا تتأخر عن الباص.

وكالعادة، كانت المدينة مزدحمة بالمتسوقين والسياح والمصطافين. ولحسن حظهما، لم تأخذ عملية شراء اللحوم والخضار وقتاً طويلاً مقارنة مع الايام السابقة. وعندما اصبحت كل طلباتهما في الاكياس، القت السيدة كيندال وابنتها نفسيهما في اقرب مقهى للتمتع بشراب منعش، وفي الوقت نفسه مراقبة الناس في الساحة المزدحمة. وظلت السيدتان في مقعديهما الى أن حان موعد عودة الباص الى القرية الساعة السادسة والنصف مساء. ووصلتا الى البيت في تمام الساعة السابعة والربع. وحتى قبل أن تصلا الى الممر المؤدي الى البيت، راح عواء دال يعلو وكأنه يرحب بهما، فأسرعت جانيت لتفتح له الباب وتطلقه في الحديقة المجاورة.

ساعدت جانيت أمها في ترتيب الاغراض والاطعمة في اماكنها، ثم جلستا معاً في الشرفة تتأملان غروب الشمس، قبل أن تعدا وجبة العشاء الخفيفة لتمضية السهرة حولها. وبينما هما غارقتان في الشفق الارجواني الذي زحفت عليه الظلمة من الاعلى، اذ بصوت دراجة نارية تعبر الممر الزراعي يسترعي انتباههما. واخيراً اتضح لهما أن الرجل في الزي الرسمي يقصدهما تحديداً. وعندما اقترب أكثر عرفت جانيت أنه الموظف الذي يعمل في مبنى البلدية في المدينة.

نهضت جانيت لاستقباله بعد أن شرحت لأمها أنه آت من قبل رئيسة البلدية، فاسرعت السيدة كيندال الى دعوته للجلوس ومشاركتها في فنجان قهوة ساخن في هذه الامسية الهادئة. وافق الرجل على الدخول الى البيت، لكنه رفض الجلوس قائلاً انه مضطر للعودة بسرعة. ثم أخبرهما أنه قصد البيت بعد الظهر لكنه لم يجد احداً، لذلك اضطر للعودة مساء ليسلمها رسالة رسمية. . . وعليه أن يعود بسرعة الى البيت.

اصغت جانيت باهتمام وتركيز الى ما يقوله الموظف، خاصة وأن الاشهر التي امضتها في الجزيرة أعطتها القدرة على استيعاب الكثير من المفردات الاسبانية حتى الآن وبعد ان شرح الرجل مضمون

الرسالة التي يحملها، مشدداً على ايضاح بعض العبارات التي لم تستوعبها جانيت في البدء، استأذن بالانصراف وودعهما بأدب.

كانت السيدة كيندال، التي لم تتحسن لغتها الاسبانية على الاطلاق، قد فقدت القدرة على متابعة شرح الموظف في منتصف الحديث تقريباً. لذلك سألت ابنتها فور ابتعاد الدراجة النارية قائلة:

- هل هناك أمر مهم يا عزيزتي؟.

لم تشأ جانيت ان تشرح كل شيء لأمها على الفور، بل أرادت أن تداعبها قليلا فقالت:

- الى حدّ ما!.

نظرت السيدة كيندال الى ابنتها وقد ازداد فضولها، وقالت ضاحكة:

- ما هي الرسالة التي حملها الرجل الينا؟.

ترددت جانيت للحظات ثم قالت بسرعة:

- حسناً، لقد تلقت رئيسة البلدية رسالة من مدريد حول مسألة الممرّ، ويبدو انه لاصلاحية للبلدية في البتّ بهذه القضية.

تنهدت السيدة كيندال:

- والآن، ما هي المشاكل الجديدة التي يجب أن نواجهها؟.

ردت جانيت بهدوء:

- لا توجد مشاكل على الاطلاق. والظاهر أن أي انسان يستطيع شراء الممر شرط أن يتعامل مباشرة مع المسؤولين في العاصمة.

فكّرت الام في ما قالته ابنتها للحظات، ثم قالت:

- هل تقصدين ان الذي يريد شراء الممر، انما يستطيع ذلك بمجرد الذهاب الى العاصمة؟.

هزّت جانيت رأسها موافقة:

- انها أرض حكومية، وهي برسم البيع.

ولاحظت جانيت أن نظر امها سرح خارج النافذة، ليتوقف عند السيارة الداكنة أمام باب الفيللا. . . ثم قطعت السيدة كيندال

الصمت قائلة:

- اذن، الذي يصل الى مدريد اولاً هو الذي يحصل على الممر.

قالت جانيت ضاحكة وهي تتذكر عناقها مع بروس:

- لا يمكن لبروس أن يسبقنا الى هناك، فهو يعرف أننا لا نستطيع تكليف محام بالمهمة. وحتى لو تأمن المال، فانني اجهل كل شيء عن وسيلة الحصول على الممر.

وافقت السيدة كيندال على كلام ابنتها، ونهضت باتجاه المطبخ لاعداد وجبة العشاء. . . والتفتت الى جانيت متسائلة:

- اذن، ما هي الطريقة الافضل للتصرف حسب رأيك ياجانيت؟.

- يجب أن لا نفعل شيئاً قبل أن ارى بروس، والارجح أنه عرف جواب مدريد مثلنا تماماً وهو يعكف على دراسته الآن. لذلك من الافضل الانتظار حتى الغد.

في صبيحة اليوم التالي، انهمكت جانيت في ترتيب وتنظيف غرفة الجلوس دون أن تبعد نظرها عن سيارة بروس. فهو يعمل هذا الصباح في الفيللا، ولا بد أن تراه عندما يغادر المكان في طريقه الى مكتبه في المدينة، والارجح أن يكون ذلك بعد الظهر.

اخلدت الام الى قيلولتها المعتادة بعد الغذاء، في حين احتلت جانيت الكرسي الهزاز على الشرفة بانتظار خروج بروس من الفيللا. ولمّا طال بها المقام هناك، استغربت أن يكون بروس ما زال منشغلاً في الفيللا على الرغم من أن الساعة قاربت الرابعة بعد الظهر، وهو الموعد التقريبي لذهاب بروس الى المدينة.

نهضت جانيت من كرسيها وراحت تذرع حديقة البيت جيئة وذهاباً وهي تفكر في ما يجب عليها أن تفعله. فهي لا تجرؤ على التوجه الى الفيللا للسؤال عنه، ولعله يكون في اجتماع مع السيد فورد. . . وعندها تحدث الطامة الكبرى. لكنها تستطيع ان تتمشى أمام البوابة الخارجية، فلربما تلمحه وحده وتستطيع التحدث اليه.

وعندما استقرّ بها هذا الرأي، عادت الى البيت لتأخذ دال كستار

تخفي خلفه مقاصدها. وكان دال مسرورا جدا لهذه النزهة غير المتوقعة. لكن جانيت فشلت في رؤية أحد داخل أسوار الفيللا، خاصة وأن سيارة آل فورد الضخمة تحجب الساحة الامامية كلها. ولذلك قررت أن تسير حتى شجرة الصفصاف عند مدخل الممر ثم تعود الى البيت. وما ان استدارت عند الشجرة حتى سمعت صوت محرك سيارة خلفها، فخفق قلبها بشدة وأسرعت باتجاه الفيللا. لكنها فوجئت بوجود فرانسيسكو بدلاً من بروس، فلوحت له بيدها رداً على تحيته. وقبل أن يقلع بسيارته باتجاه المدينة رأت أن تسأله عن بروس، فقالت:

- انني انتظر بروس للبحث معه في مسألة مهمة، هل هو مشغول جداً هذا اليوم؟.

خفف فرانسيسكو من سرعته وهو يحاذيها ثم قال باستغراب:

- بروس؟.

أصيبت جانيت بما يشبه الجمود عندما سمعت جواب فرانسيسكو، الذي أضاف مبتسماً دون ان يدري عمق الجرح الذي أحدثه في نفس جانيت:

- لقد أوصلته بنفسي بعد ظهر أمس الى المطار!.

شكرته جانيت بابتسامة شاحبة واستدارت عائدة الى البيت وقدماها لا تحملانها من الاضطراب والتوتر. فقد أحست وكأنها طعنت في الظهر من الأقرب الى نفسها.

داخل البيت، كانت الام منشغلة باعداد فنجان من الشاي، وعندما لمحت ابنتها سألتها بلطف:

- اهلاً ابنتها الحبيبة. هل كنت في نزهة؟.

لم تهتم جانيت بالاجابة على سؤال امها، بل تبعتها الى المطبخ مطأطأة الرأس مكسورة النفس ثم قالت بصوت بارد لا أثر فيه لاي انفعال:

- بروس في مدريد.

تمهلت قليلاً وكأنها تترك الفرصة لامها كي تستوعب ما تقول، ثم اضافت:

- لقد ذهب لشراء الممرّ لصالح السيد فورد!.

كانت عاجزة عن فعل أي شيء بعد ذلك، باستثناء التوجه الى غرفتها ودفن وجهها في الوسادة الباردة... وظلت هناك حتى اظلمت السماء. وفي وقت متأخر قرعت السيدة كيندال باب غرفة النوم وقالت بصوت قلق:

- العشاء جاهز ياحبيبتي... أرجوك ان تخرجي وتأكلي ما يسند نفسك.

نهضت جانيت بصعوبة، وجاهدت كي تحمل جسمها المتعب الى المطبخ. كانت السيدة كيندال زيّنت المائدة بزهور متنوعة في محاولة لرفع معنويات ابنتها... لكن مشاعر التعاطف والأسى لم تستطع أن تغير من الواقع شيئاً، لذلك قالت وكأنها تريد أن تساعد ابنتها:

- في كل حال، بروس رجل اعمال وعليه...

قاطعتها جانيت بحدة:

- ارجوك يا امي، لا أريد الخوض في هذا الموضوع الآن.

ولم تعد السيدة كيندال الى اثارة الموضوع. وظل الصمت مخيماً عليهما سواء في المطبخ أو في غرفة الجلوس عندما انتقلتا اليها بعد انتهاء العشاء.

جلست جانيت في مقعدها المعتاد وعيناها مركزتان على كرة الصوف التي تذهب يمنه ويسرة بين يدي والدتها. لم تستطع أن تبعد عن ذهنها وقع المفاجأة التي سمعتها اليوم. فقد كان عليها أن تتوقع هذه الخطوة منه، لكنها كانت متأكدة من أن بروس سيناقش المسألة معها قبل الاقدام على أي عمل في مدريد. لا شك أن امها تفهم الطبيعة البشرية أكثر منها، فهي التي قالت ان بروس قد يسبقها الى العاصمة للحصول على الممر. عند الساعة العاشرة تقريباً، بدأ دال يتمسح بقدميها في اشارة تذكير الى أن موعد نزهته الليلية قد حان.

ولم يكن هناك مجال لافهامه بأنها غير مرتاحة لمثل هذه النزهة، لذلك اضطرت مرغمة اخراجه من البيت لبعض الوقت، ثم عادت الى غرفة نومها تدفن احزانها في ظلمة الليل الحالك. أصّرت السيدة كيندال على جانيت أن تستيقظ في صباح اليوم التالي وتتصّرف وكأن شيئاً لم يحدث الليلة الماضية وقد حاولت جانيت جاهدة أن تشارك امها احاديثها ومخططاتها لهذا اليوم وهما تتناولان طعام الافطار في الشرفة.

اقترحت السيدة كيندال أن تقوما ببعض الترتيبات عند طرف الحقل من جهة الممرّ باعتبار أن فصل الصيف مرّ دون اجراء أية تحسينات، مما أدى الى أن يغطي العشب اليابس والنباتات البرّية السياج الذي يحيط الكوخ والدجاجات... ووافقت جانيت على الفكرة بدون أي حماس.

وفور الانتهاء من اعمال البيت المعتادة، ارتدت كل منهما اقدم ثياب لديها وتوجهتا الى طرف الحقل، وبرفقتهما «دال» الذي انتهز الفرصة للقفز واللعب بين الزهور والاشجار.

عملت السيدة كيندال وابنتها بجد ونشاط طيلة قبل الظهر. وعندما حل موعد الغداء اقترحت الام أن تحضر الطعام الى الحقل... وهكذا كان. ومع أن جانيت وجدت صعوبة في ابتلاع الطعام المكّون من السمك والخضار الطازجة، إلاّ أنها ظلت محتفظة بابتسامتها في محاولة لارضاء امها التي لم تترك شيئا إلاّ وجربته لكي ترفه عن ابنتها الحزينة.

عادتا الى العمل حتى وقت متأخر من بعد الظهر، الى أن اصبحت المنطقة المحيطة بالكوخ والسياج الذي يحجز الدجاجات نظيفة تماماً وكانت الساعة قد قاربت السادسة مساء عندما أعادتا المعدات الزراعية الى الكوخ، وقد توجهتا الى البيت للاستحمام من آثار الغبار والاتربة التي علقت بهما.

توجهت السيدة كيندال فوراً الى الحمام. ابتسمت جانيت لأمها

وهي تدرك أن السيدة العجوز عمدت الى شغلها بهذا العمل الشاق من أجل ابعاد ذهنها عن الامور التي تقلقها. انها تشعر بالعرفان لأمها التي استطاعت أن تفهم أبعاد المشكلة وتعقيداتها.

غسلت جانيت ذراعيها ووجهها ثم توجهت الى المطبخ لاعداد وجبة العشاء كي تكون المائدة جاهزة عندما تخرج امها من الحمام. وبعد الانتهاء من تناول العشاء، أصرّت على أن تقوم هي بغسل الاطباق وترتيب المائدة. واخيراً ألقت على امها تحية المساء، ثم استحمت بسرعة وذهبت الى فراشها على الفور.

وقعت في صبيحة اليوم التالي مفاجأة غريبة. فقد جاء ميغيل عامل المزرعة المجاورة الى البيت حاملاً بيده صرة ملفوفة. وعندما فتحتها السيدة كيندال عثرت في داخلها على هريرة صغيرة جداً. وقد سّرت كثيراً بهذه الهدية لأن ألوان الهريرة تماثل الوان القطة التي فقدتها قبل مدة... ولذلك اطلقت عليها فوراً اسم توبجي.

انهى ميغيل كأس المرطبات الذي قدمته إليه السيدة كيندال، ثم قال انه ذاهب الى سان غبريل وسألها اذا ما كانتا تحتاجان الى أي شيء من هناك.

فطلبت منه الام أن يحضر البريد معه خاصة وأن جانيت لم تذهب الى القرية طيلة الايام الثلاثة الماضية. رحّب بطلب السيدة كيندال وأبلغها أنه سيعود بعد الظهر.

مضى اليوم هادئاً وعادياً. فقد عمدت جانيت الى غسل الملابس ثم كيّها بعد تناول الغداء في الشرفة الامامية. وبينما كانت تعيد ترتيب ادراجها، اذ بصوت يناديها آت من ناحية الطريق الزراعي.

كان ميغيل واقفاً عند طرف الحديقة وهو يلوح بمجموعة من الرسائل ويظهر أنه كان مستعجلاً للعودة الى البيت لذلك لم يكلف نفسه عناء الوصول الى البيت بنفسه.

قالت السيدة كيندال لابنتها المنهمكة بترتيب ملابسها.

ـ سأحضر الرسائل بنفسي.

أنهت جانيت تعليق ملابسها في الخزانة قبل أن تعود السيدة كيندال حاملة عدّة رسائل سلمت واحدة منها الى جانيت. وبعد لحظات قالت بلهجة حادة:

ـ لقد عاد بروس. شاهدته منذ هنيهة وهو يترجل من سيارة تاكسي أمام باب الفيللا.

توترت اعصاب جانيت فجأة، واحتارت ماذا تفعل الآن. وبدون وعي توجهت الى الحديقة لعلها تستطيع أن تفكر في طريقة لمواجهة بروس هذا المساء. ولكن الوقت كان قصيراً، فما ان التفتت بعد دقائق ناحية الفيللا حتى شاهدت بروس يعبر الممر الضيق متجهاً الى البيت.

اسرعت صوب البيت تريد الاختفاء في غرفتها لئلا تراه، لكنه فاجأها في المطبخ قبل أن تتمكن من الهرب. وقف كل واحد منهما يحدق في الآخر عبر المطبخ، بينما ظلت السيدة كيندال في كرسيها صامتة تراقب الاثنين معاً.

خفق قلب جانيت بعنف وهي تلمح وجه بروس المتعب من جراء السفر. فهو لم يأخذ قسطاً من الراحة بعد عودته بل جاء على الفور لرؤيتها. لكنها سرعان ما طردت عواطفها تجاهه ووضعت على وجهها نظرة قاسية جافة. فلماذا يجب عليها أن تهتم به طالما أنه قرر بنفسه التصرّف منفرداً خلال اليومين الماضيين بهدف تحقيق أهدافه الخاصة؟.

لم تكن جانيت ترغب في الحديث اليه، لولا أنه فرض عليها المواجهة بدخوله عليها بهذا الشكل، فقالت:

ـ هل تمتعت برحلتك؟.

ـ الى حدّ ما!.

تجاهلت جانيت الارهاق البادي عليه وقالت:

ـ اعتقد انك سترتاح في مدريد!.

حدق فيها بعينيه الزرقاوين واجاب:

ـ لقد عدت للتو... واول شيء فعلته هو المجيء لزيارتك.

ـ اتمنى لو أنك لم تفعل.

وغصت جانيت بالعبارة الباقية. فاضطرت الى التراجع كي تخفي دمعة انسكبت على وجهها دون ارادة منها. اقترب بروس منها، وقال بصوت حاد:

ـ مهلاً يا جانيت.

انتفضت في وجهه قائلة:

ـ ولماذا أتمهل؟ هل تريد أن توضح لنا طبيعة رحلتك الى مدريد؟ أنا أعرف لماذا ذهبت. لقد اشتريت الممر لصالح اصحاب الفيللا، اليس كذلك؟.

اجابها بهدوء بارد:

ـ نعم.

احست جانيت أن اجابته حطمتها حتى العمق. لكنها استطاعت أن تقول من خلال الدموع المنهمرة:

ـ حسناً، شكراً لأنك اخبرتني. لقد تناسيت لبعض الوقت أنك محام لامع وناجح، وكان عليّ أن أدرك منذ البداية أنك لن تسمح لشيء أن يقف بينك وبين عملك!.

اقترب بروس نحوها وقد اصفرّ وجهه من الغضب:

ـ ارجوك يا جانيت أن تستمعي اليّ.

لكن جانيت لم تكن قادرة على مواجهته اكثر، لذلك قالت:

ـ لقد استمعت ما فيه الكفاية. والآن لا أريد أن اتحدث اليك أو أراك بعد اليوم... ابداً ابداً.

ثم غادرت المطبخ دون أن تنتظر جوابه. فالعاطفة التي كانت تربط قلبيهما انتهت الى الابد... وهي لن تغفر له ابداً كل ما ارتكبه بحقها.

١٢ - غداً نطير...

جلست السيدة كيندال في مقعدها تراقب جانيت وهي تضع كل ملابسها في حقيبة السفر. بعد لحظات، تنهدت بعمق وقالت بصوت حزين:

- هل انت مضطرة للذهاب يا حبيبتي؟.

هزت جانيت رأسها بدون ان ترفع عينيها عن حقيبتها وقالت:

- أجل يا امي اذ علي ان اعمل كي اعيش. في كل حال لم يعد من الضروري وجودي هنا!.

ردت السيدة كيندال بصوت متهدج:

- اعتقد انك محقة في قولك هذا.

تابعت جانيت وهي تحاول الابتسام للتخفيف عن امها:

- بالاضافة الى ذلك، فان الرسالة التي وصلتني امس هي من تونا التي تشير الى انها ستتزوج قريباً وتغادر الشقة. كما وان انجيلا ستعود الى بيتها بعد اسابيع... فاذا لم اعد سريعاً، سأجد نفسي دون مأوى.

اتسعت عينا السيدة كيندال تعجباً وقالت:

- لكنك لن تستطيعي دفع اجرة بيت كبير كبيتكم الحالي وحدك!.

ضحكت جانيت قائلة:

- عليّ ان اعثر على زميلة جديدة تشاركني الشقة.

تنهدت الأم بأسف:

- يا له من وضع سيء.

وبعد لحظات من الصمت تابعت تقول:

- لقد سمعت ان بروس قطع كل علاقاته المهنية مع لندن، وانه يعمل الآن من ابيزا مع احتفاظه بمكتب رئيسي في مدريد.

تصلّب وجه جانيت لدى سماعها اسم بروس، وقالت بمرارة واضحة:

- لا شك انه سينجح في اعماله الجديدة، اذا ما تصرف دائماً كما تصرف بالنسبة الى اصحاب الفيللا!

وعندما حان موعد الرحيل، احست جانيت كم ان السفر مزعج. فقد ادركت متأخرة ان حياة القرية امتزجت بحياتها. حتى بات من الصعب نسيان البيت الصغير والحدائق الشاسعة وقرية سان غبرييل. ولا شك انها ستفتقد جمال الطبيعة الاسبانية بعد عودتها الى مدينة الضباب.

وظهر كأن الطبيعة ارادت ان تزيد من احزان السفر، فقد اشرقت شمس ايلول (سبتمبر) بحدة في اليوم المحدد للسفر وبدت الجبال خضراء داكنة.

كانت جانيت قد طلبت سيارة من القرية لتقلها الى المطار. هكذا لم يعد امامها الا الانتظار على الشرفة والى جوارها امها الحزينة لفراقها. وللمرة المئة تقريباً تعود لتسأل السيدة العجوز:

- هل انت متأكدة من انك ستكونين على ما يرام؟ وكيف ستتدبرين امرك بدون الممر؟

اجابتها السيدة كيندال متعمدة الابتسام والضحك:

- لا تشغلي بالك بذلك. سوف افتح بوابة للبيت عند الطريق الزراعي، وسأطلب من موزعي الغاز نقل القوارير عبر الحديقة. . . ولا اظنهم سيمانعون.

هزت جانيت رأسها وتابعت:

- وستتصلين بي هاتفياً بمجرد شعورك بوجود مشاكل غير طبيعية؟.

ردت السيدة كيندال متضاحكة:

- لا تبالغي في القلق يا حبيبتي. فأنت تعرفين انني قوية جداً. . . وسوف اذهب في عطلة رأس السنة لرؤية جميع افراد العائلة.

وظلت جانيت وامها على هذا المنوال الى ان جاء التاكسي، فقام السائق بنقل حقائب جانيت التي قبلت امها مودعة، ثم جلست في المقعد الخلفي والقت نظرة الوداع على البيت والفيلا والقرية كلها. وعندما اخذت السيارة الطريق الساحلي باتجاه المدينة، القت جانيت نظرة اخيرة الى الخلف. . . ثم استقامت في مقعدها واقسمت انها لن تعود الى ابيزا ابداً، الا اذا كانت امها بأمس الحاجة لوجودها معها.

اضطرت جانيت للذهاب الى المطار مبكرة من اجل الحصول على تذكرة السفر على اساس انها حجزت مقعدها هاتفيا. وكالعادة، وجدت القاعات مزدحمة بالناس من مختلف الجنسيات، فأحست بالضيق وهي التي كانت تتمنى ان تدخل الطائرة فوراً كي تقطع علاقتها نهائيا بالجزيرة واهلها. وبعد تزاحم وتنافس امام مكاتب الحجز والجمارك والأمن العام، اعلن في المذياع عن قيام الرحلة المباشرة الى لندن.

كانت الخدمة في الطائرة ممتازة، فالمضيفات والمضيفون عمدوا الى تلبية كل طلبات المسافرين وسط جو من المرح العام. ولاحظت جانيت ان الجميع مسرورون من عطلتهم في اسبانيا او بعودتهم الى

لندن. . . اما هي فقد غرقت في مقعدها فريسة الهموم والأحزان.

ولسوء الحظ، اجلست المضيفة جانيت في المقعد الذي يلي الستارة ذات اللون البني التي تفصل الدرجتين الأولى عن الثانية. وراحت جانيت تتساءل بألم وحرقة عن الشخص الذي يجلس خلف الستارة: هل يمكن ان يكون رجلاً انيقاً مثل رجال القانون، يضع حقيبته الرسمية امامه منهمكاً في مراجعة بعض اوراقه المهمة؟ وخلال الرحلة نهضت مرة واحدة فقط، استطاعت خلالها ان ترى خلف الستارة. لم يكن هناك رجل بهذه المواصفات، بل مجرد امرأة سمينة ترتدي ثياباً باهظة الثمن وتحتسي فنجاناً من القهوة بالحليب!

حطت الطائرة في مطار لندن مساء. كانت اجراءات الجمارك سهلة جداً، وسرعان ما استقلت جانيت الباص قاصدة قلب المدينة. كانت لندن غارقة في الظلام، والشوارع خالية تماماً، والمحلات مغلقة ابوابها. فقد اختارت جانيت يوم الأحد للعودة كي تكون مستعدة غداً الاثنين لاستئناف عملها فوراً.

عندما ترجلت من التاكسي، الذي اقلها من محطة الباصات الى الشقة التي تقيم فيها، احست للحظات بانها تقصد هذا المكان لأول مرة في حياتها. ساعدها سائق السيارة في حمل حقائبها حتى الباب الخارجي، ثم تركها هناك وعاد من حيث اتى. . . اما هي فمضت الى الداخل وكأنها مدفوعة بغير ارادتها. كان كل شيء مختلفاً، الروائح، البرودة، الرطوبة. . . وحتى الفوضى حلت بالشقة بعد رحيل انجيلا عنها.

شعرت جانيت بالاشمئزاز من منظر غرف النوم والمطبخ والحمام، خاصة الغرفة التي كانت تحتلها انجيلا. ولحسن حظها وجدت ان غرفة نومها مقبولة نوعاً ما لقضاء الليلة فيها، الى ان تقوم غداً بحملة تنظيف وترتيب شاملة تعيد البيت الى ما كان عليه سابقاً.

ومن حسن الحظ ايضاً ان السيدة كيندال اعدت لابنتها بعض المأكولات الخفيفة وهكذا وجدت جانيت عشاء جاهزاً اغناها عن

الغرق في اجواء المطبخ غير المقبولة... وبعد العشاء كان النوم هو الملاذ الأخير من عناء السفر والمشاعر التي رافقته.

استيقظت باكراً في صباح اليوم التالي واستقلت الباص الى العمل كالعادة. وربما انها تعمل في احدى الوكالات الخاصة بتأمين السكرتيرات المؤقتات للشركات ورجال الأعمال، فقد تم تعيينها فوراً في مكتب يبعد مسيرة عشر دقائق عن عملها... وعند الساعة العاشرة تماماً كانت جانيت منهمكة في طبع مجموعة من الرسائل والفواتير وغيرها. لم يكن هناك احد يعرفها في المكتب ليسألها عن رحلتها الى ايبيزا او يعلق على شحوب وجهها المفاجىء... فهي هنا مجرد طابعة على الآلة الكاتبة لا اكثر ولا اقل.

تناولت جانيت غداءها عند الواحدة، ثم عادت الى العمل. بعد ذلك ذهبت الى الشقة لتناول العشاء... ثم خرجت في نزهة قصيرة عادت على اثرها الى البيت لتنام. وهكذا مضت الأيام. وعلى الرغم من انها كانت تشمئز من منظر الشقة الا انها كانت عاجزة عن فعل اي شيء لتنظيفها، وظلت تؤجل العمل يوماً بعد الآخر.

في مساء الخميس، استقلت جانيت الباص قاصدة نونا التي لم يكن زواجها مفاجأة لأحد. فطيلة اشهر الصيف كانت رسائلها تؤشر في هذا الاتجاه. وحسب آخر رسالة تلقتها منها قبل موعد عودتها الى لندن، فقد حصل روبرت على ترقية في عمله، وهكذا بات باستطاعتهما الزواج وشراء شقة متواضعة في احدى ضواحي لندن. وعندما تزوجا لم يذهبا في رحلة شهر العسل، لكنهما يخططان لذلك في الصيف المقبل.

قرعت جانيت جرس الباب وانتظرت ريثما سمعت وقع اقدام في الداخل... ثم فتح الباب، فاذا بها وجهاً لوجه مع صديقتها نونا التي هتفت قائلة:

- انها جانيت! اهلاً بك ايتها الصديقة العزيزة... هيا ادخلي.

تعانقت الصديقتان مطولاً، ثم نادت نونا جانيت الى غرفة داخلية

حيث كان روبرت يراجع بعض المجلات والكتب فعرفته عليها قائلة:

- انها جانيت زميلتي في الشقة السابقة. لقد سبق لي واخبرتك انها اضطرت للذهاب الى ايبيزا كي تساعد امها في بعض الأمور.

ثم التفتت الى جانيت قائلة:

- وهذا روبرت، انه منهمك في عمل يجب ان ينجز قبل الصباح.

وانحنت على زوجها قائلة:

- لن نزعجك طويلاً يا حبيبي.

قالت جانيت وهي تغادر الغرفة بصحبة نونا:

- فرصة سعيدة ان اتعرّف اليك يا روبرت!

سألتها نونا بفرح:

- هل تريدين رؤية الشقة؟

وقبل ان تجيب جانيت، كانت نونا قد اخذتها من يدها وراحت تدور بها على المطبخ والحمام وغرفة الجلوس وغرفة النوم الرئيسية والشرفة التي تطل على الشارع الخلفي. ابدت جانيت اعجابها الشديد بالشقة والمفروشات وقالت بصوت حنون:

- انه مكان جميل وحميم يا نونا.

ردت نونا بصوت هو مزيج من السعادة والشكوى:

- سوف نضطر الى دفع القسم الأكبر من مدخولنا طيلة السنوات المقبلة كي نوفي اقساط البيت. لكن من الرائع جداً ان يكون للانسان بيته الخاص.

ابتسمت جانيت وهي تقول:

- من الواضح انك تحبينه جداً.

لكن نونا لم تتابع الحديث عن البيت، بل انتقلت الى موضوع آخر بعد ان لاحظت شحوب وجه جانيت:

- دعينا من اخباري واخبار البيت، ماذا عنك انت؟ كيف كانت ايبيزا؟

اغتصبت جانيت ابتسامة وقالت:

ـ لا يمكن مقارنة لندن الآن بايبيزا الساحر.

سألتها صديقتها بمرح:

ـ هل حصلت على الممر؟

هزت جانيت رأسها واجابت باقتضاب:

ـ كلا.

تنهدت نونا بأسى وقالت:

ـ يا له من حظ سيء. ماذا جرى هناك؟

ابتلعت جانيت ريقها واجابت:

ـ كان عند اصحاب الفيللا محام ذكي وماهر استطاع ان ينتصر علينا.

لم تفت نونا ملاحظة لهجة جانيت عندما جاء ذكر المحامي، وربطتها على الفور بشحوب صديقتها وحزنها غير الطبيعي وقالت:

ـ انه عقل قانوني، اليس كذلك؟

وقبل ان تسمع الجواب اضافت قائلة:

ـ هل هو متزوج؟

اجابت جانيت:

ـ كلا.

عادت نونا لتسأل من جديد:

ـ كيف شكله وطبيعته؟

ـ بروس؟ انه طويل ممشوق القوام. . .

ولم تستطع جانيت ان تكمل. اذ كيف يمكنها ان تقول ان عينيه اكثر صفاء من سماء ايبيزا في الصيف؟ وان ابتسامته الساحرة تخترق القلب بسرعة رهيبة؟ وانها تحبه كما لن تحب رجلاً بعده؟ وانه خانها رغم كل هذا الحب؟ وفي خضم افكارها هذه، انقذها صوت روبرت فجأة وهو يقول:

ـ حسناً ايتها البنات. لقد انهيت عملي ويمكنكما الانضمام اليّ الآن.

نهضت نونا مبتسمة وقالت:

ـ ممتاز، يمكننا ان ندخل الآن ونتحلق حول المدفأة.

استقبلهما روبرت في غرفة الجلوس قائلاً:

ـ والآن، ما رأيكما بفنجان من القهوة.

اجابت نونا ضاحكة:

ـ طالما انني قمت بالجلي قبل قليل، فقد حان دورك لصنع القهوة!

انحنى روبرت امام زوجته مازحاً وقال:

ـ هذا من دواعي سروري. في كل حال انت مضيفة سيئة للغاية، حتى انك لم تطلبي من جانيت ان تخلع معطفها بعد!

ضحك الجميع بصوت عال، في حين اخذت جانيت تفك ازرار المعطف. وبينما كان روبرت منهمكاً في المطبخ، جلست جانيت ونونا في مقعدين مجاورين للمدفأة لمواصلة ما انقطع من احاديث بينهما.

سألتها نونا:

ـ كيف كانت الشقة عندما عدت الى لندن؟

اجابت جانيت بخجل:

ـ الفوضى ضاربة اطنابها. . . وما زالت كذلك حتى الآن، اذ لا رغبة عندي في القيام بأي عمل!

وكانت نونا تتوقع مثل هذا الجواب، لذلك تنهدت على الفور بصوت حاد:

ـ كانت انجيلا مزعجة للغاية. فقد كنت استغرب كيف انها تقوم بدور عارضة ازياء وادوات التجميل وغيرها بينما هي على عداء سافر مع النظافة في حياتها البيتية!

قالت جانيت مبتسمة:

ـ وجدت قرب سريرها عدة صحون وملاعق. . . والظاهر انها كانت تتناول عشاءها في السرير!

سألتها نونا:

ـ هل عثرت على شريكة جديدة للشقة؟

ردت جانيت مبتسمة:

- كلا. فقدت الاتصال بمعظم السكرتيرات اللواتي اعرفهن. ويبدو انني سأضطر للاعلان في الصحف مع انني اكره السكن مع انسانة غريبة تماماً... ربما تكون اسوأ من انجيلا.

قالت نونا بعد تفكير، ونبرة مفاجئة:

- ما رأيك لو تأتين وتسكنين معنا في هذه الشقة. فهناك غرفة اضافية يمكنك استعمالها ريثما تتدبرين امرك؟

ابتسمت جانيت وقد فاجأها العرض:

- لا يمكن ان اقبل ذلك... على كل اشكرك على دعوتك.

اصرت نونا على فكرتها وراحت تشرحها مفصلاً:

- ولم لا؟ فهذا سيعطيك متسعاً من الوقت لتدبير امورك، وعندها يمكنك البحث بدون استعجال عن شقة افضل وأصغر من الشقة الحالية... واذا اضطررت لمشاركة احد، فان ذلك سيتم حسب رغبتك وليس بدافع الضرورة.

قالت جانيت بهدوء:

- اشكرك على عرضك مجدداً... لكنني لا استطيع.

استنجدت نونا بزوجها الذي كان يستمع الى الحديث من المطبخ.

دخل عليهما الزوج حاملاً ركوة القهوة وقال بكل جدية:

- اعتقد ان نونا على حق يا جانيت. لقد زرت الشقة القديمة مرة او مرتين ولا ارى انها مناسبة على الاطلاق. وبالاضافة الى ذلك فان وجودك هنا سيساعدنا، ذلك انني منهمك هذه الاسابيع في انهاء بعض الأمور العاجلة قبل رأس السنة، ولا اريد ان تبقى نونا وحدها مساء.

فكرت جانيت ملياً بالعرض. كان عليها ان تعترف بأن الرجوع الى الشقة القديمة يثير في نفسها الاشمئزاز. ولعلها في البيت الجديد تقطع كل علاقاتها مع الحياة الماضية وتبدأ من جديد. وطبعاً ستدفع لنونا الاجرة التي تدفعها اسبوعياً الى ان تعثر على شقة جديدة، وحتى

لو رفضت صديقتها وزوجها فانها ستصر على الدفع فذلك سيساعدهما قليلاً في دفع اقساط القرض.

واخيراً قالت بابتسامة ماكرة:

- اذا كنتما متأكدين من انني لا اسبب ازعاجاً فسوف انزل عندكما لاسبوع او اثنين.

هز روبرت رأسه مرحباً ثم عاد الى المطبخ لاكمال القهوة وهو يقول:

- هذا قرار عاقل تماماً.

سرت نونا لانها استطاعت ان تساعد صديقتها الى حد ما، وقالت بفرح:

- سوف اساعدك على حزم اغراضك في الشقة القديمة. والآن لنرى. اليوم الخميس، غداً انا مشغولة جداً، اما السبت فليس عندي سوى التسوق. اذن سأحضر السبت بعد الظهر لننظف الشقة سوية ثم يتولى روبرت استئجار شاحنة صغيرة لنقل الاغراض عندما ننتهي من حزمها.

اعترضت جانيت قائلة:

- هذا لطف زائد منك، ولكن لا ضرورة لأن تتعبي نفسك معي في تنظيف الشقة!

ردت عليها نونا بهدوء:

- ولم لا؟ مسؤوليتي تجاه الشقة توازي مسؤوليتك تماماً... ام هل نسيت انني كنت اعيش فيها ايضاً؟

وافقت جانيت مرغمة بعد ان لاحظت اصرار صديقتها على تقديم كل مساعدة ممكنة في هذا الشأن. ثم دخل الزوج بالقهوة. فجلس الثلاثة يتسامرون في مواضيع مختلفة الى ان حان موعد عودة جانيت الى البيت. وقد اصر الزوجان على مرافقتها حتى محطة الباص رغم اعتراضها الشديد على ذلك.

طوال الطريق كانت جانيت تفكر بملامح السعادة التي كانت

ترتسم على وجه صديقتها نونا. لقد ذاقت هي نفسها جزءاً من طعم السعادة الحقيقية. . . لكن الحب الذي وقعت فيه كان محكوماً عليه بالفشل سلفاً. غرقت جانيت في احزانها العميقة وراحت تتساءل عن الأوضاع في ابيزا. لقد مضى عليها اسبوع في لندن. ترى كيف سيكون الأمر بعد اسبوعين؟ بعد شهر؟ بعد سنة؟ هل ستظل مشاعرها كما هي الآن بعد عشرين سنة؟

اضطرت جانيت للتأخر في عملها نهار السبت بسبب بعض الأمور المستعجلة. وعندما وصلت اخيراً الى الشقة وجدت ان نونا سبقتها قبل لحظات قليلة فقط. وسرعان ما غرقتا في اعمال التنظيف والترتيب وحزم الاغراض. كانت جانيت قد عمدت في الليلة السابقة الى حزم اغراضها الخاصة في مجموعة من الحقائب والعلب الكرتونية، بحيث لم يعد هناك سوى تنظيف كل غرفة على حدة، ثم ترتيبها تمهيداً لتسليم الشقة الى اصحابها.

حل الظلام في الخارج، وكانت الصديقتان قد انهتا تقريباً ولم يعد امامهما سوى قاعة الجلوس والمطبخ. اتجهت جانيت لاضاءة النور لكن المصباح بقي مظلماً قالت بهدوء:

- لقد احترق هذا المصباح، وعلينا ان نتدبر امرنا بدونه.

اطلت نونا من احدى الغرف المجاورة وحاولت اضاءة النور هناك، لكن بدون جدوى. فقالت:

- غريب، لا ضوء هنا ايضاً.

ثم راحت تدور على كل الغرف، لتعود اخيراً وتقول:

- الكهرباء كلها مقطوعة.

وبعد تردد اضافت:

- هل يمكن ان تكون انجيلا قد نسيت دفع الفواتير، مع انني تركت لها المال في المطبخ فوق علبة البسكويت؟

اسرعت الصديقتان الى المطبخ فوجدتا ان الاوراق ما زالت في مكانها، فانفجرت نونا غاضبة:

- يا لها من فتاة حمقاء. لقد ذكرتها اكثر من عشر مرات كي تدفع الفاتورة!

علقت جانيت قائلة:

- لا شك ان صاحب البيت سمح لموظف الكهرباء بالدخول هذا الصباح لقطع التيار.

وقفتا في القاعة للحظات تفكران في ما يجب عمله الآن. واخيراً قالت نونا بهدوء:

- في اي حال، نحن انتهينا تقريباً. وهناك بعض الشموع الصغيرة التي يمكننا استعمالها لانجاز العمل في المطبخ.

وهكذا كان، فعلى ضوء الشموع الخافت حاولتا جهدهما تنظيف وترتيب المطبخ. وقبل ان تنتهيا قرع جرس الهاتف، فأسرعت جانيت لترد عليه وحدسها يؤكد لها ان امها على الطرف الآخر من الخط.

وبالفعل كانت السيدة كيندال على الطرف الآخر.

سألتها جانيت بقلق ممزوج بالفرح:

- امي هل انت على ما يرام؟

اجابت الأم بصوت ضاحك:

- طبعاً. . . طبعاً يا حبيبتي. انني في احسن حالاتي هذه الأيام.

ولكن اسلوب الأم في الحديث كان يؤكد ان هناك شيئاً ما، تريد ان تنقله لابنتها بسرعة:

- آه يا جانيت كم تمنيت لو كنت معي هذا الاسبوع. لقد تم تمهيد وتزفيت الممر كله فصار جزءاً من حديقة البيت الامامية. كما تم وضع بوابة كبيرة على الطراز الاسباني عند مدخل البيت. وسألني العمال اذا كنت اريد ان اطلق اسماً على البيت كي ينقش على لوحة تعلق في البوابة فأسميته «كازا كونتنت». هل تحبين الاسم يا جانيت؟ اعتقد ان له رنة خاصة. . .

قاطعتها جانيت وقد طغت عليها الدهشة:

- امي، انني لا افهم شيئاً مما تقولين. هل تقصدين ان الممر اصبح ملكك؟ انني لا افهم كيف يكون ذلك بعد ان اشتراه بروس لصالح الفيللا؟

راحت السيدة كيندال تشرح الموضوع بتؤدة:

- هذا صحيح يا ابنتي. لقد تم شراء الممر لصالح الفيللا. لكن من هو صاحب الفيللا؟ كنت اعتقد ان السيد والسيدة فورد يملكانها، لكنني اكتشفت انهما استأجراها هذا الصيف فقط.

تمهلت السيدة كيندال قبل ان تتابع بحماس:

- ان بروس هو مالك الفيللا الحقيقي. وبالتالي فهو يستطيع ان يفعل بها ما يشاء. ولا شك انه كان يعرف ما يفعل عندما ذهب الى مدريد لشراء الممر... لكن من كان يتوقع ذلك... انني لم افكر...

عادت جانيت تقاطع امها بصوت ضعيف واهن:

- مهلك قليلاً. هل تقصدين ان بروس كان يملك الفيللا منذ البداية، وانه انما ذهب الى مدريد كي يشتري الممر لنا نحن؟

اعترفت السيدة كيندال قائلة:

- اجل. ولكنه لم يسمح لي بالاتصال بك قبل ان ينتهي كل شيء... لقد طار الى لندن اليوم ظهراً... فقد اردت...

واختلطت الاصوات على الهاتف. وراحت جانيت تردد عبارة:

- مستحيل لا يمكن ان اصدق ذلك.

لكن عينيها كانتا تشعان ببريق السعادة والفرح... فبروس والبروك لن يخوناها ابداً، وكل الاتهامات التي وجهتها اليه باطلة من اساسها.

وفجأة قرع الباب، فأحست جانيت بالتوتر الشديد الغامض. كل شيء يحدث بسرعة هذا المساء، والمفاجآت تتوالى بشكل لا يصدق. قالت لامها بصوت متهدج:

وامي، انني اسمع قرعاً على الباب....

اجابتها السيدة كيندال مودعة:

- حسناً يا حبيبتي سوف اتركك الآن. فقد اردتك ان تعرفي الحقيقة...

اغلقت الخط. ووضعت جانيت السماعة وهي ترتجف.

لم تكن تريد ان تذهب الى الباب، لكن قدميها قادتاها الى هناك بدون ارادة. وعند المدخل المظلم، انفتح الباب عن رجل طويل القامة يرتدي معطفاً واقياً من المطر... وبعد تردد انفجرت مشاعر جانيت في كلمة واحدة:

- بروس...

ثم القت، نفسها بين الذراعين المفتوحين على اتساعهما. طال العناق بينهما، الى ان استجمعت جانيت انفاسها وابتعدت عنه لتتأمل الوجه الذي اشتاقت اليه كثيراً خلال الفترة الماضية. حدق بروس في عينيها مبتسماً وقال:

- هل يمكنني ان ادخل؟ ان المطر غزير في الخارج.

كانت نونا قد جاءت الى القاعة حاملة بيدها احدى الشموع. ولما شاهدتهما قالت بمكر:

- عندما سمعت القرع على الباب، فكرت ان افتحه بنفسي لاعتقادي بان جانيت مشغولة على الهاتف.

قالت جانيت بحياء:

- هذا بروس.

ثم التفتت اليه قائلة:

- وهذه نونا شريكتي في الشقة. اننا نعمل على ضوء الشموع لأن الكهرباء مقطوعة.

سلم بروس على نونا ثم خلع معطفه وهو يقول لجانيت:

- هل نستطيع ان ندخل الى هذه الغرفة؟

استأذنت نونا بالعودة الى المطبخ وهي توجه الى جانيت نظرات ذات معنى وقالت:

- سوف انهي تنظيف المطبخ في هذه الاثناء.

وعندما اصبح بروس وجانيت داخل الغرفة، ضمها في ذراعيه بحنان وقال:

- احسست ان الاسبوع الماضي كان اطول من سنة في غيابك.

قالت جانيت وهي تريح رأسها على كتفه:

- لقد كان مثل عشر سنوات بالنسبة الي. . . لماذا لم تخبرني عن الممر؟

اجابها بجفاء:

- لم تكوني مستعدة للاصغاء في ذلك اليوم. لقد ذهبت الى مدريد فور سماعي جواب رئيسة البلدية لأنني اعرف انك ما كنت قادرة على الخوض في القضايا القانونية وحدك. كنت قد خططت لشراء الممر باسم امك على ان اخبرك الحقيقة بعد عودتي. . . لكن يظهر ان المفاجأة اعطت مفعولاً عكسياً.

اعترفت جانيت بلطف:

- اني استحق كل العذاب الذي احاط بي هذا الاسبوع. . .

ثم سألته قائلة:

- هل صحيح ما قالته امي من انك تملك الفيللا؟

هز بروس رأسه قائلاً:

- ان السيد ويستون صديقي منذ زمن. وعندما قرر بيع ممتلكاته خارج بريطانيا، قمت بشراء الفيللا على سبيل الاستثمار فقط. بعد مدة تلقيت رسالة من السيد فورد يشتكي فيها من صعوبة استعمال الممر كموقف لسيارات الضيوف، لذلك توجهت الى ابيزا لأرى ما يمكن فعله بهذا الشأن.

وبعد تردد قليل تابع قائلاً:

- كنت مصمماً على شراء الممر لالحاقه بالفيللا، لكنك كنت لي بالمرصاد دائماً.

ابتسمت في وجهه قائلة:

- لاحظت انك كنت تريد ابعادي عنك في معظم الأحيان.

شدها الى صدره وهو يقول:

- لقد حاولت فعلاً. لكن الأمر انتهى بي ليس فقط الى الاستقرار في ابيزا، بل وبت في خطر خسارة كل القضايا القانونية التي اتولاها. واخيراً قررت ان الأمر الوحيد المناسب هو ان اتزوجك لئلا اجن واخسر مهنتي التي احبها.

- وبهذه الطريقة تكون قد احتفظت بالممر ضمن ممتلكات العائلة!

اجابها باللهجة الساخرة نفسها:

- لا اعتقد اننا سنمضي اوقاتنا في استقبال الضيوف. والاصدقاء القلائل الذين سيزوروننا يمكنهم استعمال المدخل الصغير.

سألته جانيت بحنان:

- هل سنقيم في الفيللا فعلاً؟

هز رأسه موافقاً وقال:

- هذه هي خططي للمستقبل. لقد رتبت اموري كي استطيع ممارسة المحاماة في اسبانيا بشكل دائم. انا سأغطي اعمال ابيزا والمناطق المجاورة، اما فرانسيسكو فسيتولى مسؤولية مكتب مدريد لأنه يحب حياة المدن.

التفتت اليه مبتسمة وقالت:

- اتذكر انه كان يحب حياة الشواطىء ايضاً. . . الى ان وضعت حداً لنزهاتنا المشتركة.

ازداد التصاقاً بها وهو يعترف بهدوء:

- لم اكن اتصورك مع احد آخر غيري. . . كنت اغار عليك من كل الناس.

رمت جانيت رأسها على صدره واغمضت عينيها لتحلم بالحياة الحلوة الجديدة التي تنتظرها في ابيزا. لكنها انتفضت فجأة وقالت:

- انك مبتل، تماماً!

اجابها:

- استقليت الباص الى مكان قريب ثم قطعت المسافة الباقية سيراً على الاقدام. . .

التفت الى الغرفة وقال:

ـ لا اعتقد انها مكان مناسب للعيش.

شرحت له جانيت الوضع قائلة:

ـ كنت على وشك مغادرتها. فقد عرضت علي نونا التي تزوجت اخيراً ان انتقل للاقامة معها ريثما اتدبر امري.

حدق فيها مبتسماً وقال:

ـ لن اتركك تغيبين عن نظري بعد اليوم. سآخذك الآن الى الفندق المجاور لمكتبي في لندن، ثم سنطير غداً صباحاً عائدين الى ابيزا... هذا اذا كنت راغبة فعلاً بالزواج في ابيزا!

ردت جانيت بابتسامة مليئة بالسعادة:

ـ اعتقد ان امي تتمنى ذلك.

احاطها بذراعه القوية وقال:

ـ بلا شك. على فكرة هل عندك مانع في ان ينشأ اطفالنا في الريف الاسباني فيتحدثون الانكليزية الى جانب الاسبانية؟

ضحكت وقد علت حمرة الخجل وجنتيها:

ـ وكيف لي ان امانع في هذا الأمر الرائع؟

سمعا قرعاً قوياً على الباب، اعقبه دخول نونا التي قالت:

ـ انا اسفة لازعاجكما بهذا الشكل، لكننا يجب ان نذهب. فالمطبخ اصبح نظيفاً وروبرت ينتظر في الشاحنة.

قامت جانيت برفقة بروس واتجها الى القاعة، ثم الى الباب الخارجي حيث وقفت الشاحنة تنتظر. ابتسمت جانيت لصديقتها قائلة:

ـ لن اذهب معك الآن يا نونا.

ردت نونا وهي ترتدي معطفها السميك.

ـ لا استغرب ذلك... اتمنى ان تكتبي لي عما قريب!

صاحت جانيت بفرح:

ـ كوني على ثقة من ذلك يا صديقتي العزيزة.

اقتربت نونا من الحقائب والصناديق الموضوعة قرب المدخل وقالت:

ـ لقد اطفأت الشموع في المطبخ، ولم يعد عليكما سوى نقل الحقائب.

رد بروس مبتسماً:

ـ لا تهتمي بهذا الأمر يا نونا. فسوف نعود غداً صباحاً لنقلها الى المطار!

لوحت نونا بيدها مودعة واستقلت الشاحنة الى جانب زوجها. في هذه الاثناء كانت جانيت تتولى مهمة اطفاء الشموع المتبقية، قبل ان ترتدي معطفها استعداداً لمرافقة بروس الى الفندق. وعندما اطلت مرة اخرى، سألها بروس قائلاً:

ـ أنت جاهزة؟

هزت جانيت رأسها ايجاباً ثم اقفلت الباب ووضعت المفاتيح في حقيبة يدها. سارا معاً يداً بيد في ظلال الشارع الذي بلله المطر الغزير. ولأول مرة في حياتها لم تشعر جانيت بالانزعاج من المطر المنهمر، فذراع بروس المحيطة بخصرها انستها كل شيء... الا السعادة التي لا توصف.